نور المسيح
ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ
مجلة شهرية

Issue No: 42 عدد:
February 2011 شباط

جمعية نور المسيح ، رقم: ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠
Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

الدينونة العـــامة

قال الربُّ متى جاء ابن البشر في مجدهِ وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذٍ يجلس على عرش مجده • وتجمع اليه كل الامم فيُميّز بعضهم من بعضٍ كما يميّز الراعي الخراف من الجداء • ويُقيمُ الخراف عن يمينه والجداء عن يساره .

إذا تصوَّرت كثرة أفعالي الرديّة أنا الشقيّ فإنّي أرتعد من يوم الدينونة الرهيب.
لكنّي إذ أنا واثق بتحنّن إشفاقك أهتف إليك مثل داود
إرحمني يا الله كعظيم رحمتك

كلام الحياة

عاد رجل صيني وثني يُدعى (لي) إلى منزله، فوجد زوجته تنتظره وهي مبتسمة ، مُشرقة الوجه على غير عادتها، وكلّمته بلهجة إسترعت إنتباه زوجها المُتعجّب.

ثمّ أحضرت ماءً دافئاً لغسل رجليه ، وكانت قد جهّزت له طعاماً لذيذاً ، فتعجّب (لي) من تغيّر تصرفات زوجته ، التي كانت تقضي معظم وقتها في لعب القمار وشرب الخمر.

ولاحظ أنّها أبطلت الشجار معه فأصبح البيت هادئاً ، ولاحظ أيضاً أنها لا تُدخّن.

فسألها: (ماذا حدث لك ؟ وما سبب تغيّرك ؟). فأجابته: بأنّها ذهبت إلى الكنيسة وسمعت **تعاليم الإنجيل** فغيّرت حياتها بالكامل.

فذهب معها في اليوم التالي إلى الكنيسة ليتعرّف على هذا الشخص العجيب **(الربّ يسوع المسيح)** ، ويسمع تعاليمه المحيية التي جعلت من زوجته إنسانة غير التي يعرفها.

وسمع (لي) **كلام الحياة** واعتمد هو وزوجته وصارا بركة لكثيرين. ولسان حالهما يقول: «يا ربّ إلى مَن نذهب. كلام الحياة الأبديّة عندك» (يو٦:٦٨).

إنّ كتابنا المقدّس هو كتاب الحياة وكلامه هو كلام الحياة وكل مَن يبتعد عنه هو في الموت يسعى وإلى الموت الأبدي يسير.

قال عنه الفيلسوف (هين):

« يا له من كتاب جميل .. كبير للعالم .. متسع كالكون .. أساساته في أعماق الخليقة .. وأعاليه في قبّة السماء الزرقاء ».

إنّ كلمة اللّة حيّة وفعّالة

كل ما هو مطلوب من الإنسان أن يقبلها كسَيِّف يفتح لها قلبه وكلّ نيّاته ، ويسلّطها على كُل فكر وكلّ تصرّف ، حتى يكمل فعلها في القلب والضمير والفكر والإرادة بالنخس الدائم.

حينما يقول الكتاب إنّ كلمة اللّه حيّة ، فهو يطمئنا أنّه مجرّد أن نفتح لها ونجعلها تسكن في قلبنا فإنّها **لن تقف** بدون عمل.

«لقد أتيتُ لتكون لهم حياة ويكون لهم أفضل» لذا فدانا المسيح بدمه الطاهر الثمين، من خلال آلامة الطوعيّة ،ثم موته وقيامته، الإنجيل هو المسيح كلمة اللّه ، الحياة المحيية وبشارة الخلاص.

وحينما يقول أنّها فعّالة ، فهو يؤكّد لنا أنّها لن تكفّ عن الفعل حتى تُكمّل مشيئة الذي أرسلها.

«هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة ، بل تعمل ما سررت به وتنجح في ما أرسلتها له» (أش ٥٥:١١).

إنّ كلمة اللّه لها سلطانها داخل القلب ، وتمسُّكنا بكلمة اللّه وخضوعنا لحكمها وندائها وتشجيعها ، هو سلاحنا الذي نحارب به ، وسراجنا الذي نسير عليه، حتى نخرج من ظلمة الخطيّة إلى **نور المسيح** وحريّة روح اللّه كأبناء للنور والحقّ.

إختبر نفسك .. هل كلمة الإنجيل تزيدك معرفة بخطاياك وتكشف عوار حياتك أولاً بأوّل ؟؟!!.

الكتاب المقدّس هو الكتاب الوحيد الذي ترك بصماته على كلّ الأجيال والعصور مشبعاً حاجة قلوب البشر.

محتويات العدد

2 كلام الحياة.

3 كلمة غبطة البطريرك كيريوس كيريوس ثيوفيلس الثالث

4 تفسير أيقونة دخول المسيح

6 إنجيل دخول المسيح إلى الهيكل

8 الرمز والحقيقة في الكنيسة

11 سرّ عظمة النصارى

12 تفسير القدّاس الإلهيّ

13 هل العبقريّة هبة إلهيّة

14 كلمات روحيّة

15 رموز العذراء / رسالة الأسرة المسحيّة

16 حالة النعمة

18 أيّام الخليقة الستة

22 طريق النساك

23 العهد القديم . (٢٦)

توزع هذه المجلة **مجاناً**

جمعية نور المسيح : كفركنا - الشارع الرئيسي (الحي الجنوبي) ص. ب. ٦١٩ تلفاكس ٠٤/٦٥١٧٥٩١

تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال - الناصرة

حساب رقم : 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

ترتيب وتحضير : هشام ميخائيل خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث
بمناسبة بدء السنة الجديدة

«يا كلمة الآب الكائن قبل الدهور في صورة اللّه. يا مَن أقامَ الخليقة من العَدَم إلى الوجود ، وجعل الأوقات والأزمنة بسلطانه الخاص. بارك عمل يديك» (الأينوس – الطروبارية الأولى).

أيّها الأخوة الأحباء بالمسيح يسوع

إنّ بداية السنة الجديدة حسب تفكير كنيستنا تتخذ وتنال معنىً إحتفاليّاً وخلاصيّاً ، لأنّ السرّ الخفيّ منذ الدهور للتدبير الإلهي ، ظَهَرَ لنا بكلمة الآب الذي قبل الدهور ، بالمسيح إلهنا ومخلصنا الذي أقام الخليقة من العَدَم إلى الوجود، وجعل الأوقات والأزمنة بسلطانه.

«الوقت ، حسب القديس باسيليوس الكبير هو: الفترة التي تمتدّ في تقويم العالم».

هذه الفترة تتميّز بالدورة السنويّة المتكرّرة للوقت الجاري ، أي الوقت الفاسد ، الخاضع لعبوديّة الفساد ، فهذه الفترة ومعها الخليقة ستُحرّر من خلال ربّنا يسوع المسيح الذي أتى إلى العالم.

إنّ مصير الخليقة يكشفه لنا بولس الإلهيّ : « لأن الخليقة نفسها أيضاً ستُعتَق من عبوديّة الفساد إلى حريّة مجد أبناء اللّه» (رومية ٨:٢١).

هذا الحدث يعني الحريّة من عبوديّة الفساد ، الوقت المحدود إلى حريّة المجد، أي الملكوت الأبديّ لأبناء اللّه. الذي جمعنا اليوم لنحتفل بإشراقة السنة الجديدة ، وكذلك بتذكار القديس باسيليوس الكبير رئيس أساقفة كباذوكية أحد آباء كنيستنا العظام ، وفي هذا الإحتفال التقليدي يتمّ قطع الكعكعة (باسيلوبيتا) التي تحمل إسمه الكريم.

عيد نهاية السنة السابقة والدخول في السنة الجديدة التي ابتدأت من خلال كنيستنا المقدّسة المتأسّسة على الكلام النبويّ ، وخاصّة في كلام أشعياء النبيّ ذي البوق الصارخ العظيم ، حيثُ يتعلّق الكلام بالكرازة الخلاصيّة لربّنا يسوع المسيح كلمة اللّه ، الذي تأنّس لأجلنا ، حيثُ مُسحَ من اللّه الآب. «روح السيّد الربّ عليّ لأنّ الربّ مسحني لأبشّر المساكين، أرسلني لأُعصّب منكسري القلب ، لأنادي للمسبيين بالعُتق وللمأسورين بالإطلاق. لأنادي بسنةٍ مقبولة للربّ» (أشعيا ٦١:١-٢).

بالكرازة «السنة الجديدة المقبولة للربّ» نحنُ نُحَضُّ من كنيسة المسيح ليتسنّى لنا أن نفكّر بجديّة نحو الهدف المنشود لدعوة المسيح المُرسلة لنا : «لأجل جَعالَة دعوة اللّه العليا في المسيح يسوع» .

لهذا الهدف أيّها الأخوة الأحباء نحنُ مدعوون لأن نُصبح من ناحية كارزين ومُبَشّرين بكلمة اللّه ، ومن ناحية أخرى نتّبع ونقتدي بإرشادات القديس باسيليوس الكبير ، الذي أضحى كارزاً لكلمة اللّه، إذ أصبَحَ متمثّلاً بالرسول الإلهيّ بولس، فالرسول بولس يأمرنا: « أيها الأخوة أنا لستُ أحسبُ نفسي إنّي قد أدركت (أي أنا لم أُفكّر بأنّني أجبتُ وبشكلٍ كامل عن فحوى رسالتي هذه). ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتدّ إلى ما هو قُدّام. أسعى نحو الغرض لأجل جَعالَة دعوة اللّه العليا في المسيح يسوع» (فيلبّي ٣:١٣-١٤).

بالإضافة لهذا نطلب نعمة ورحمة ربّنا وبارىء الخليقة.
ومع مرنّم الكنيسة نقول:

« يا مَن خَلَقَ كُلّ البرايا بحكمة لا تُفَسَّر. ووضع الأزمنة بسلطانه الخاص. هَب الغلبات لشَعبك المُحب المسيح ضد الحروب الروحيّة وسلطان الظلمة ، وهَب السلام العلويّ للعالم ولمنطقتنا التي تنوء بالتجارب الكثيرة. وبارك مدخل السنة ومخرجها مسدّداً أعمالنا على ما يوافق مشيئتك الإلهيّة ، لنستنير بنورك الإلهيّ متمّمين جميع وصاياك ، ورافضين ما لا يُرضيك ، بشفاعةوالدة الإله الدائمة البتوليّة مريم وجميع قديسيك الذين أرضوك منذ الدهر». آمين

كل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

تفسير أيقونة دخول المسيح إلى الهيكل

ينتمي عيد دخول السيّد إلى الهيكل إلى العهد المسيحي الأوّل، فهو فلسطيني المنشأ، كما هي الحال بالنسبّة للعديد من الأعياد الكنسيّة. وتصف إيجريّا هذا العيد كما يُحتفل به في أورشليم، من خلال زيارتها للأراضي المقدّسة في القرن الرابع، وتتحدّث عن إقامة زيّاح مهيب. وانتقل هذا العيد إلى القسطنطينيّة في القرن السابع.

أوّل مشاهد هذا العيد المصوّر تعود إلى القرن الخامس. بَلَغ تصوير المشهد ثباته في القرنين التاسع والعاشر وبقي على حاله منذئذ. نرى في بعض الأحيان المسيح الطفل محمولاً. ولكن في أغلبٍ الأحيان نرى سمعان الشيخ حاملاً الطفل على ذراعيه. لا يُصَوَّر المسيح أبداً بأقمطة، بل يرتدي رداءً قصيراً بحيث تظهر قدماه أسفل عاريتَين. في بعض الأحيان يَمنح الطفلُ البركة.

تمّ لقاء الطفل مع الشيخ في الهيكل، أمام المائدة المقدّسة. يبدو على المائدة في بعض الأحيان صليب، كتاب أو رقائق. عن جهتَي المائدة، يقف كلٌ من سمعان الشيخ والعذراء.

العذراء تمدّ يَديها مغطاة بردائها في حركة عطاء وتقدمة. فهي قدّمت الطفل لتوّها إلى سمعان. أما سمعان فيحمل الطفل على ذراعَيه وقد غطّاهما بردائه علامة إحترام. أما يوسف فيبدو خلف مريم ويحمل في يديه ما يوصي به الناموس: زوجي يمام أو فرخَي حمام، أي تقدمة الأهل الفقراء (لاويين ١٢:٨).

يمثّل اليمامان في يَدَي يوسف الكنيسة الآتية من إسرائيل وتلك الآتية من الأمم، كما يمثّلان أيضاً العهدَين القديم والجديد.

أما حنّة إبنة فنوئيل فتقف أحياناً خلف سمعان.

لقد أُعطيت شخصيّةُ سمعان «القابل الإله» أهميّة كبرى. فأقواله النبويّة إعتُمدت في صلاة الغروب على مدار السنّة الطقسيّة "الآن تُطلق عبدك أيّها السيّد ...". أراد البعض أن يرى فيه أحد كهنة الهيكل، والبعض الآخر أحد معلّمي الشريعة، **ابن هليل ووالد جملائيل** معلّم بولس الرسول. وهو أحد مترجمي الكتاب المقدّس، أحد السبعين الذي أبقاه اللّه حيّاً طيلة ٣٥٠ عاماً إلى حين ظهور المسيّا.

النصوص الليتورجيّة تُغبّط سمعان كأعظم الأنبياء. قد استأهل الأمور أكثر من موسى، فقد عاين اللّه ليس كما ظهر لموسى متّشحاً بالظلام، بل بحَمله إيّاه على ذراعيه. لقد كَشَفَ سمعان للعالم النور، الصليبَ والقيَامةَ (بالعودة إلى نبوءته للعذراء في حديثه لها عن

"السيف الذي سيجوز في قلبها"). ما من أمر يُشير في الأيقونة إلى كرامة سمعان الكهنوتيّة. فرأسه غير مُغطّى. المسيح على ذراعيه يجلس وكأنّه على عرش. الأوديّة التاسعة من السحريّة تضع هذه الكلمات على لسان المسيح: «ليس الشيخ يحملني، بل أنا أحمله، لأنّه يطلب مني الغفران».

أمّا تفاصيل الأيقونة:

ليست الأيقونة مُجرّد عمل فنّيّ، بل هي حضور حسّي للرب فيما بيننا، ومصدر إيحاء وصلاة وتأمّل.

تُجسِّد هذه الأيقونة الماثلة أمامنا حَدَثاً هامّاً في تاريخ الخلاص، وهو دخول يسوع إلى الهيكل.

تحتفل الكنيسة بهذا العيد في الثاني من شباط شرقي (يولياني) الواقع في الخامس عشر غربي (چريچورياني) من كل عام، وتُطلق عليه أيضاً إسم **«اللقاء»** أي لقاء يسوع مع شعبه الذي ينتظره بشخص سمعان الشيخ وحنّة النبيّة؛ إنّه لقاء بين العهد القديم والعهد الجديد، ولقاء بين الهيكل الحجري والهيكل البشري.

تتحلّى هذه الأيقونة بقوّة تعبيريّة تنبعث خصوصاً من النظرات.

عن يمين الأيقونة نرى سمعان يحمل الطفل الإلهيّ برقّة وتأنٍّ. في نظراته إحترامٌ كُليّ للسيّد فهي نظرة سكون وفرحٍ مقرون بالأمل.

نظرة الطفل الإلهيّ مُتّجهة نحو مريم العذراء دلالة على أنّها أمّه، أما مريم والدة الطفل الإلهيّ فنظرتها تحمل بعضاً من التسائل وتستشفّ منها بعضاً من الحزن والحيرة.

وراء مريم تقف النبيّة حنّة فيما نظرتها مُتّجهة نحو يوسف. تُشير بإصبعها إلى الطفل وكأنّها تقول ليوسف إن **هذا الطفل إله**.

عندما نتأمّل في نظرة يوسف يُخالجنا شعورٌ بأنّها نظرة تعجّب لما يُسمَع عن الصبيّ.

الطفل يسوع هو المحور الأساس في الأيقونة، يبدو محمولاً على يدي سمعان الشيخ وكأنْ لا ملامح طفولة على مُحيّاه. بل ملامحُ وجه بالغ في جسد صغير.

نلاحظ ثيابه مُزيّنةً بخيوط ذهبيّة وحول رأسه هالةٌ نورانيّة يتوسطها صليب دلالة على هدف تجسّده ألا وهو **فداء البشريّة**.

نظرات الطفل تتّجه نحو مريم ويَدُهُ ممدودة نحوها أيضاً إشارة إلى أنّه سَيَهبها أُمّاً للبشرية وهو معلّق على الصليب حينَ سيقول ليوحنّا ومن خلاله للبشريّة جمعاء، هذه هي أمّك.

تتوسّط مريم العذراء الأيقونة وهي إذ تبدو واقفة أمام الباب ترمز إلى الباب الذي دَخَلَ منه اللّه إلى العالم.

حركة يدها اللطيفة تعبّر عن فعل تقدمة، وترشدنا إلى إبنها مخلّص العالم الذي تقدّمه إلى سمعان.

ترتدي مريم لباساً أزرقَ دلالة على الطبيعة الإنسانيّة، ويلفّها رداءٌ أُرجوانيّ اللّون رمزاً للطبيعة الإلهيّة المستمدّة من إبنها يسوع.

على لباسها تظهر ثلاث نجوم متلألئة إشارة إلى نقاوة بتوليّتها المستمرّة قبل الولادة وأثنائها وبعدها.

تدل ملامح وجهها إلى الكآبة، وكأنّها تشعر بأنّ طفلها سَيُسلَخ عنها عاجلاً أم آجلاً، وهو ما تنبأ به سمعان الشيخ عندما قال لها: «وأنت سينفذ سيفٌ في نفسك لتنكشف الأفكار عن قلوب كثيرة» مُشيراً بذلك إلى الحزن العميق الذي سينتابها عند رؤية وَلَدها على الصليب.

أمام مريم العذراء يقف سمعان الشيخ الذي أتى إلى الهيكل بإلهام من الروح القدس، وكان قد أوحى له بأنّه لن يرى الموت قبل أن يُعاين مسيح الربّ.

لا يرتدي سمعان الثياب الكهنوتيّة بل يبدو خادماً يقوم بتكريس الطفل المخلّص. ذراعاه تجلّلهما قطعة من القماش وتختفيان تحتها دلالة على إحترامه الفائق للطفل يسوع الذي يحمله، وكأنّه يقدّمه ذبيحةً على مائدة الهيكل. تُشير سمات وجهه إلى أنّه في حال من ذهول عميق، فيما يكاد لا يصدّق بَأنّه يحمل خلاص شعبه. وكأنّ شفتيه تتمتمان بما نقله لنا لوقا الإنجيلي:

والآن تُطلق عبدك أيها السيّد حسب قولك بسلام، فإنّ عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام كلّ الشعوب نوراً لإستعلان الأمم ومجداً لشعبك إسرائيل.

النبيّة حنّة التي هي من سبط أشير تحمل بيدها ملَفّاً كُتِبَ عليه ما تفسيره: هذا الولد ثَبّتَ السماء والأرض، به كُلُّ شيءٍ كَوّنَ وبدونه لم يُكوّن شيء. لقد تنبأت حنّة عن مَلَكيّة هذا الطفل المتواضع.

أما يوسف فهو ينظُر إلى الطفل متعجباً، فيما تبدو على وجهه ملامح سكون وتأمّل وكأنّه يتمعّن في السرّ الذي فاجئه وهَبَطَ عليه من فوق، ووَقَفَ العقل البشري أمامه حائراً وعاجزاً عن الإستيعاب.

يداه تُغطيهما أطراف الثوب دلالةً على مشاعر الإحترام، فيما هو يقدّم يمامتين تقدمة الفقراء، يُفَسّر البعض بأنّ اليمامتين ترمزان إلى العهدين القديم والجديد، كما ترمزان إلى طبيعتيّ المسيح الإلهيّة والإنسانيّة.

عن يسار مريم وحنّة ويوسف، ووراء سمعان الشيخ نرى هيكلاً وهو يُشكّل في الأيقونة إطاراً للحَدَث، لكنّه لا يشمله كلّه، لأنّ الحَدَث يتخطّى الزمان والمكان.

في الهيكل يتم لقاء المخلّص مع شعبه، غير أن المسيح هو الهيكل الجديد والنهائي، حيثُ يستقرّ الروح القدس. ونحنُ هياكل الروح القدس حيثُ يسكن المسيح في كلٍّ واحد فينا. وإذا كان المذبح يَرمزُ إلى مائدة العشاء السريّ، وإلى قبر المسيح، لا بل إلى المسيح ذاته الذبيحة الإلهيّة بالذّات، فإنّ الرداء الأحمر الملقى على المذبح يدل على آلامه. أما الأعمدة الأربعة فوق المذبح فترمز إلى الأنجيليين الأربعة، فيما القبّة قبة السماء هي عرش اللّه.

أيقونة الدخول إلى الهيكل تبيّن لنا شخصيّة المسيح، فهو **القدّوس المساوي للآب**؛ فمعطي الشريعة في سيناء، يضع لنا الشريعة الجديدة، هو خاتمة ذبائح العهد القديم، لأنّه الكاهن والمذبح والذبيحة في آن.

عظة إنجيل
دخول المسيح إلى الهيكل
للقديس كيرلس الإسكندري

دخول السيّد المسيح إلى الهيكل

في ذلك الزمان كان إنسانٌ في أورشليم اسمه سمعان وكان هذا الإنسان بارّاً تقيّاً ينتظر تعزية إسرائيل* والروح القدس كان عليه * وكان قد أوحي إليه من الروح القدس أنّه لا يرى الموت قبل أن يُعاين مسيح الربّ * فأقبل بالرّوح إلى الهيكل . وعندما دخل بالطفل يسوع أبواه ليصنعا لهُ بحسب عادة النّاموس اقتبلهُ هو على ذراعيه وبارك اللّه وقال: الآن تُطلق عبدك أيّها السيّد حسب على قولك بسلام. فإنّ عينيَّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددتهُ أمام وجوه جميع الشعوب نورَ إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل * وكان يوسف وأُمّهُ يتعجّبان ممَّا يُقال فيه * وباركهما سمعان وقال لمريم أمّه. ها إنَّ هذا قد جُعِلَ لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل وهَدفاً للمخالفة * (وأنت سيجوز سَيفٌ في نفسك) * لكي تُكشَف أفكارٌ من قلوب كثيرة * وكانت أيضاً حنّة النبيّة إبنة فَنوئيل من سبط أشير * هذه كانت قد تقدّمت في الأيام كثيراً وكانت قد عاشت مع رجلها سبع سنين بعد بكوريتها. ولها أرملة نحو أربع وثمانين سنة لا تُفارق الهيكل متعبّدة بالأصوام والطلبات ليلاً ونهاراً * فهذه قد حضرت في تلك الساعة تشكر الربّ وتحدّث عنهُ كلَّ مَن كان ينتظر فداءً في أورشليم.

يقول أشعياء النبيّ «ما أجمل أقدام المبشّرين بالخيرات» (أش٥٢:٧).

وهل هناك شيء أحلى من أن تتعلّم أنّ اللّه قد خلّص العالم بواسطة إبنه وذلك بأن صار إنساناً مثلنا ؟ كما هو مكتوب «يوجد إله واحد ووسيط واحد بين اللّه والناس ، الإنسان يسوع المسيح ، الذي بذَل نفسه فدية لأجلنا». لأنّه من تلقاء نفسه نزل إلى فقرنا لكي يجعلنا أغنياء بحصولنا على ما هو له.

أنظروه إذن ، كإنسان مثلنا وهو يُقدَّم إلى الآب ، أنظروه وهو يطيع ظلال الناموس ويُقدَّم ذبيحة بحسب ما كانت العادة حينئذ ، رغم أن هذه الأمور قد تمّت بواسطة والدته حسب الجسد. فهل لم يتعرّف عليه أحد بالمرّة في أورشليم في ذلك الوقت ؟ وهل لم يعرفه أحد من سكانها ؟ كيف يمكن أن يكون هذا ؟ فإنّ اللّه الآب قد سبَق وأعلن بواسطة الأنبياء القديسين أن الإبن سيظهر في الوقت المعيّن ليخلّص الذين هلكوا ولينير على الذين كانوا في الظلمة. وقد قال بواسطة أحد الأنبياء القديسين : «برّي يأتي سريعاً ورحمتي تُعلَن وخلاصي يتّقد كمصباح» (أش ٦٢:١). ولكنّ الرحمة والبرّ هما المسيح ، لأنّنا به حصلنا على الرحمة والبرّ ، إذ قد غسلنا من شرورنا الدنسة بالإيمان به. وكما يضيء المصباح أمام أولئك الذين يسيرون في الليل والظلمة ، هكذا صار المسيح لأولئك الذين في الكآبة والظلمة العقليّة ، غارساً فيهم النّور الإلهي. ولأجل هذا السبب أيضاً صلّى الأنبياء لكي يصيروا شركاء نعمته العظيمة قائلين: «أرنا يا ربّ رحمتك وأعطنا خلاصك» (مز ٨٤:٧).

حُملَ المسيح إذن إلى الهيكل وهو بعد طفلٌ رضيع على صدر أمّه ، وسمعان المبارك إذ كان قد مُنحَ نعمة النبوّة أخذه على ذراعيه ، وبارك اللّه وهو ممتلىء بأعظم فَرح قائلاً: « الآن يا سيّد تُطلق عبدك حسب قولك بسلام ، لأنّ عينيّ قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته أمام وجوه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل».

لأنّ سرّ المسيح قد أُعدَّ من قَبل تأسيس العالم ، ولكنّه أُظْهِرَ في الأزمنة الأخيرة وصار نوراً لأولئك الذين في الظلمة والضلال قد سقطوا تحت يد إبليس. هؤلاء هم الذين كانوا يعبدون «المخلوق بدلاً من الخالق» (رو١:٢٥). عابدين **التنّين** مصدر الشرّ **والشياطين النجسة** التي يقدّمون لها الكرامة اللائقة باللّه. ومع ذلك فقد دُعوا الآن من اللّه الآب ليعرفوا الإبن الذي هو **النور الحقيقي**. وبإشفاق قال عنهم بصوت النبيّ «سوف أصنع لهم آيات ، وأقبلهم لأنّي سأفديهم ، ويكثرون كما كثروا ، وسأزرعهم بين الشعوب. والذين هم بعيدون سيذكرونني» (زك ١٠:٨-٩).

فكثيرون هم الذين كانوا بعيدين ، ولكنّهم قد دُعوا بواسطة المسيح. وأيضاً هم كثيرون كما كانوا من قبَل. لأنّهم قد قُبِلوا وأُفتدوا،

إذ قد حصلوا من اللّه الآب على التبنّي في عائلته وعلى النعمة التي بالإيمان بيسوع المسيح ، وذلك كعلامة للسلام. والتلاميذ الإلهيّون قد زرعوا باتساع بين الشعوب. وماذا كانت النتيجة ؟ إنّ أولئك الذين كانوا بعيدين من اللّه قد صاروا قريبين. والذين يُرسل إليهم بولس الإلهيّ أيضاً رسالة قائلاً: «أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح» (أف٢:٢٣). وإذ قد جُعلوا قريبين فإنّهم يجعلون المسيح هو فخرهم ومجدهم. ولأنّ اللّه الآب قد قال عنهم أيضاً : «سأقوّيهم بالرب إلههم فيفتخرون بإسمه يقول الربّ». (زك١٠:١٢). وهذا أيضاً ما يعلّمهم المرنّم المُبارك كما لو كان يتحدّث إلى المسيح مخلّص الجميع فيقول: «يا ربّ في نور وجهك سيسلكون وبإسمك سيبتهجون اليوم كلّه، وبيدك سيرتفعون لأنّك فخر قوّتهم» (مز٨٨:١٥-١٦). ونجد أرميا النبيّ أيضاً يدعو اللّه قائلاً: «يا ربّ قوّتي وعَوني وملجأي في يوم الضيق ، إليك تأتي الأمم من أطراف الأرض ويقولون ، آباؤنا اتّخذوا لأنفسهم آلهة كاذبة لا يوجد فيها عون» (أر١٦:١٩).

لذلك فالمسيح صار نور إعلان للأمم، ولكنّه صار أيضاً مجداً لإسرائيل. لأنّه رغم أنّ البعض منهم تغطرسوا وعصوا وكانت لهم عقول لا تفهم ، إلاّ أنّه كانت هناك بقيّة قد خَلُصَت وأُدخلَت إلى المجد بالمسيح ، وباكورة هؤلاء البقيّة هم التلاميذ الإلهيّين الذينَ أشرق نور شهرتهم لينير العالم كلّه.

وهناك معنى آخر لكون المسيح «مجد لإسرائيل» ، وذلك لأنّه جاء منهم حسب الجسد رغم أنّه هو «الكائن فوق الكُل إلهاً مُباركاً إلى الأبد آمين» (رو٩:٥).

وسمعان الشيخ بارَك العذراء القديسة كخادمة للمشورة الإلهيّة وأداة للولادة التي لا تخضع لقوانين الطبيعة البشريّة. فقد ولدت وهي عذراء وذلك بدون رَجُل ، بل بحلول قوّة الروح القدس عليها.

وماذا يقول سمعان النبيّ عن المسيح ؟ «ها إنّ هذا الطفل قد وُضِعَ لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل ولعلامة تقاوَم». لأنّ عمانوئيل قد وُضِعَ من اللّه الآب لأجل أساسات صهيون. إذ هو «حجر زاوية مختار كريم» (١بط٢:٦)، والذين وثقوا به لم يَخزوا . ولكن أولئك الذين لم يؤمنوا ولم يستطيعوا أن يعرفوا السرّ الخاص به سقطوا وتهشّموا. لأنّ اللّه الآب قال أيضاً في موضعٍ آخر: «هأنذا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة والذي يؤمن به لن يخزى» (أش٢٨:١٦). ولكن «كُل مَن يسقط عليه هذا الحجر فإنّه يسحقه» (لو٢٠:١٨)، ولكن النبيّ يدعو الإسرائيليين ليكونوا آمنين بقوله: «قدّسوا الربّ نفسه وهو يكون خوفكم ، وإن وثقتم به يكون هو تقديسكم ، ولن تصطدموا به كما بحجر صدمة وصخرة عثرة» (أش٨:١٣-١٤). ولكن لأن إسرائيل لم يقدّسوا عمانوئيل الذي هو الربّ وهو اللّه ، ولم يريدوا أن يؤمنوا به فإنّهم اصطدموا كما بحجر بسبب عدم الإيمان. وهكذا تهشّم إسرائيل وسقط. ولكن كثيرين من بينهم قاموا ثانية ، ورقصد بهم الذين آمنوا به. هؤلاء تحوّلوا من عبادة ناموسيّة إلى عبادة روحيّة ، تغيّروا من روح العبوديّة الذي فيهم واغتنوا بذلك الروح الذي يجعل الإنسان حرّاً ، أي الروح القدس. وقد صاروا شركاء الطبيعة الإلهيّة وحُسبوا أهلاً أن يكونوا أبناء بالتبنّي ، ويحيوا على رجاء الحصول على المدينة العليا. أي أن يكونوا مواطنين في ملكوت السموات.

القديس كيرلس الاسكندري

أما «العلامة التي تُقاوَم» فيقصد بها **الصليب الثمين** الذي يقول عنه بولس الحكيم جداً أنّه «عثرة لليهود وجهالة لليونانيين» (١كو١:٢٣). وأيضاً يقول عنه أنّه «للهالكين جهالة ، أمّا عندنا نحنُ المخلّصين فهو قوّة اللّه للخلاص» (١كو١:١٨). لذلك فالعلامة التي تُقاوَم تبدو جهالة لأولئك الهالكين بينما هي خلاص وحياة للذين يعترفون **بقوّة الصليب**.

ويقول سمعان بعد ذلك للعذراء: «وأنت أيضاً يجوز في نفسك سيف» ، ويقصد بالسيف الألم الذي ستعانيه لأجل المسيح حينما تراه مصلوباً. وهي لا تعرف أنّه سيكون أقوى جداً من الموت ، ويقوم من القبر. ولا تتعجّبوا أن العذراء لا تعرف هذا ، فإنّنا سنجد أنّ الرُسل القديسين أنفسهم لم يكونوا مؤمنين بهذا في البداية. بل وتوما بعد القيامة لو لم يضع يديه في جنبه ، ويتحسّس آثار المسامير في يديه لم يكن ليُصدّق التلاميذ الآخرين حينما أخبروه أنّ المسيح قد قام وأنّه قد أظهَرَ نفسه لهم.

ولذلك فإنّ البشير الحكيم جداً ـ يعلّمنا ـ من أجل منفعتنا كل الأمور التي إحتملها الإبن من أجلنا ونيابة عنّا ، حينما صار إنساناً وقبل أن يحمل فقرنا ، وذلك لكي **نمجّده كفادينا ، وكسيّدنا وكمخلّصنا ، وكإلهنا** ، الذي به وله مع اللّه الآب والروح القدس المجد والقوّة إلى دهر الدهور آمين.

مذنب هالي

... إنهّ مجموعة من الغازات المتجمّدة تجرّ وراءها ذيلاً طوله ١٢ مليون ميل ، لقد شوهدَ يجول الفضاء مذ ٢٠ قرناً ، وهو يظهر كل ٧٦ عاماً ...

«السماوات تذيع بمجد اللّه والفلك يخبر بأعمال يديه» (مز١:١٨)

الرمز والحقيقة

في العبادة الأرثوذكسية

المرجع الأساسي لهذا البحث : موضوع الرمزيّة والحقيقة
الصادر للمطران يوحنا زيزيولاس ، مجلة سيناكسس
المجلّد ٧١ ، يوليو ١٩٧١ ، ص ٦-٢١ (باللغة اليونانيّة)

مقدّمة:

يتميّز الإنسان وحده بقدرته على العمل في الحياة مُستخدماً الرموز ، بينما يتعذّر ذلك بالنسبة للحيوان. فالإنسان وحده هو الذي يتواصل مع غيره من الناس عن طريق اللغة ، وهو وحده الذي يصوغ القوانين ويُراعي قواعد السلوك العامّة ، ويُمارس طقوساً معيّنة ، في حالة الولادة والزواج والموت ، مملوءة بالرموز والدلالات والمعاني. فالرمز هو أحد السمات الأساسيّة للجنس البشري. فالسلوك الإنساني هو سلوك رَمزي في جوهره ، كما أنّ السلوك الرمزي هو بالضرورة سلوك إنساني.

ليس غريباً ـ في هذا الإطار ـ أن تكون العبادة الكنسيّة مملوءة بالرموز ، ولا توجد صلاة تَعَبديّة أو عمل ليتورجي يتحقّق في الكنيسة بدون إستخدام رموز معيّنة. **لكن ما هو مفهوم الرمزيّة** Symbolism وما هو المغزى التعليمي من إستخدامه؟.

المفهوم العام للرمزيّة Symbolism:

الرمز Symbol في معناه العام هو أي شيء يحيل إلى شيء آخر ، أو يقوم مقامه أو يدل عليه. فهو من ناحية ما يرتبط بالموضوع الذي نودّ الكَشف عن فكرته ، ومن ناحية أخرى فهو مصطلح يُطلَق على موضوع مرئي يُمَثّل تشابهاً مع ما هو غير مرئي. وقد تؤدّي علامة sign أو إشارة signal أو معنى meaning نفس دلالة الرموز . وتعتبر اللغة أو الكلام رموزاً لأنّها وسيلة لتسهيل واختصار التعامل ونقل المعاني.

الرمزيّة إذن هي شيئاً ما يقف بديلاً عن شيء آخر أو يحلّ محلّه أو يمثّله بحيث تكون العلاقة بين الإثنين هي علاقة الملموس بالمجرّد ، وذلك على إعتبار أن الرمز هو شيء له وجود محسوس ولكنّه يرمز إلى فكرة أو معنى مجرّد. فالميزان مثلاً يرمز إلى العدالة ، والحمامة ترمز إلى السلام ، والصليب إلى المسيحيّة. بينما الصليب المعقوف يشير إلى النازيّة. وقد تُستخدم بعض الأفعال والحركات والإشارات كرموز .. وهذا ما نراه في العبادة ؛ فرفع الذراعين إلى أعلى في الصلاة يُشير إلى التماس المعونة من اللّه والتضرعّ إليه ، أيضاً السجود وانحناء الرأس ، كلها دلالات تُعبّر عن التقوى والخشوع في حضرة اللّه.

هكذا فإنّ الرمز هو كلّ ما يحلّ محلّ شيء آخر في الدلالة عليه ، لا بطريق المطابقة التّامة وإنما بوجود علامة عرضيّة أو مُتعارف عليها من الجماعة البشريّة التي تستخدم هذا الرمز ، هكذا الرمز لا يتطابق تماماً مع الحقيقة المُعلنة من خلاله ، وفي نفس الوقت هناك تشابه بين الرمز والحقيقة ، فالرمز ليس غريباً تماماً عن الحقيقة التي يُعلنها.

تكمن الخطورة في استخدام الرموز في العبادة إذا أخضعنا هذه الرموز للمفاهيم السحريّة. فالرمز ليس أداءً حركيّـاً آليّـاً أو مجرّد قول ننال بمقتضاه بركة بعيـداً عن الفهم والإدراك والتمييز من جانبنا نحن.

لقد عانت الكنيسة الغربيّة في العصور الوسطى من وجود هذه الأفكار السحريّة بكثرة في الحياة التعبديّة ، ممّا أسهم في ظهور معارضين كثيرين للكنيسة وانشقّوا عنها ، نقصد البروتستانت. هذا الأمر هو الذي جعل الكنيسة الكاثوليكيّة في المجمع الڤاتيكاني الثاني تُبَسِّط الليتورجيّا وتُلغي الملابس الكهنوتيّة المُبالغ في زخرفتها وأثمانها وتلجأ إلى الملابس البيضاء البسيطة ، وأيضاً إلغاء أمور كثيرة كانت تحدث في أثناء العبادة وتُسبّب تشويشاً وعائقاً للإيمان البسيط والعميق. فالصلوات الطويلة والمُبالغ في أدائها والملابس المزيّنة بأحجار ثمينة ، والرموز الكثيرة جداً والمتنوعة كانت في نظر المعارضين للكنيسة الغربيّة وقتذاك غير متوافقة مع السمة الروحيّة للعبادة المسيحيّة ، وبساطة حياة المسيح الأرضيّة وكذلك فضيلة التواضع وبقيّة سِمات الحياة المسيحيّة.

تأخذ مسألة الرمزيّة ـ في هذا الإطار ـ أبعاداً هامّة في الكنيسة ، خاصّة أنّه **توجد** هوّة كبيرة بين الفهم المُستنير لما يؤدّى في أثناء العبادة وبين الفِهم السطحي الذي قد يتبنّاه البعض من بسطاء الشعب. إذن من الضروري أن نواجه موضوع الرمزيّة المستخدمة بكثرة ـ كما قلنا ـ في عبادتنا. **ونبحث في ما هو المفهوم المسيحي للرمزيّة ؟**.

المفهوم المسيحي للرمزيّة :

لقد رأينا أن الرمزيّة ليست مجرّد إبتداع مسيحي كَنسي ، بل هي مغروسة في الطبيعة البشريّة ، وتظهر في حياتنا اليوميّة. وبحسب

تعليم كنيستنا الأرثوذكسيّة، فإن سبب الإلتجاء لإستخدام الرمز يتمثّل في نزوع الكائن البشري نحو عبور المسافة بين المحدود واللانهائي، وبلغة آباء الكنيسة **بين المخلوق وغير المخلوق**. هذا العبور لا يمكن أن يتحقّق إلاّ باستخدام الوسائل المـُتاحة للمخلوق (الإنسان)، والتي هي وسائل ماديّة وقابلة للفساد. حتى لو تجنّب الإنسان إستخدام المادّة في هذا العبور، ولجأ إلى الكلمة البشريّة فهي أيضاً غير كافية حى أنّ آباء الكنيسة عبّروا عن ذلك بما يُسمّى **«اللاهوت السلبي»**، أي التعبير عن اللّه (غير المخلوق) بأسلوب النفي أو الأسلوب السلبي. وهذا ما نراه في القداس الغريغوري: «مستحقٌ وعادلٌ.. أيها الواحد وحده الحقيقي مُحب البشر، الذي لا يُنطق به، غير المرئي، غير المُحوَى، غير المبتدىء، الأبدي، غير الزمني، الذي لا يُحدّ، غير المفحوص، غير المستحيل، خالق الكلّ».

وكما قلنا فإنّ الرمز لا يتطابق تـماماً مع الحقيقة المـُعلنة من خلاله، وفي نفس الوقت هناك تشابه ما بين الرمز والحقيقة. وهناك تمييز بين الرمز Συμβολό (سيمبولو) والعلاّمة Σημειου (سيميّو)، فالعلامة تُشير إلى حقيقة ما دون أن يكون بالضرورة هناك تشابهاً بينهما، بينما الرمز يتشابه إلى حد ما مع الحقيقة، أو هناك عناصر مشتركة فيما بينهما. ومن هنا تأتّي الخطورة المتمثّلة في سوء شرح مفهوم الرمز، فمرّات كثيرة نشرح الرمز لنصل إلى مفهوم وحقيقة بعيدة جدّاً عن الرمز. وقد يكون هذا المفهوم مُضاد لما أراد الرمز أن يُعلنه. وهذا الخطأ يقودنا إلى العشوائيّة في تفسير الرموز الليتورجيّة أو يقودنا إلى إهمال نماذج أو أمثلة في الليتورجيّة تُعبّر عن حقائق لاهوتيّة عميقة للحياة الكنسيّة.

لكن لو التزمنا بتعريف الرمز بأنّه وسيلة لعبور المسافة بين المخلوق **(الإنسان)** وغير المخلوق **(اللّه)** وذلك باستخدام وسائل معروفة وممكنة للمخلوق، عندئذ نستطيع أن نعرف المعنى المسيحي الصحيح للرمز في عبور الهوّة بين المخلوق وغير المخلوق في شخص المسيح. وهذا سيقودنا إلى معرفة الإختلاف بين الرمزيّة المسيحيّة والرمزيّة في أي مذهب آخر.

الإختلاف بين الرمزيّة المسيحيّة والرمزيّة في الديانات الأخرى:

إن الإختلاف الأساسي بين الإيمان المسيحي الكتابي والإيمان في الديانات الوثنيّة بخصوص عبور الهوّة بين المخلوق وغير المخلوق، هو أن الديانات الوثنيّة تَعبُر هذه الهوّة بمعونة الطبيعة، بينما في الإيمان المسيحي، الطبيعة لا تملك في ذاتها أي إمكانيّة أو خاصيّة لعبور الهوّة. فالمسيحي يعبُر هذه الهوّة بكامل حريّته. بينما في الديانات الوثنيّة، فإنّ الرمز الذي يصنع جسراً بين المخلوق والخالق هو الذي يُخضع الحريّة الشخصيّة للعبوديّة للطبيعة مثل **السحر أو حركة النجوم، معرفة الأبراج، التعاويذ الشيطانيّة ... الخ**.

عبور المخلوق إلى غير المخلوق في الإيمان المسيحيّ يعتمد على الحريّة الشخصيّة. هكذا لا يوجد في العهد القديم ولا في العهد الجديد رمزيّة مرتبطة بالطبيعة. ويُعلن هذه الحقيقة بولس الرسول في رسالته إلى أهل غلاطية قائلاً: «لكن حينئذٍ إذْ كنتم لا تعرفون اللّه استعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهةً. وأمّا الآن إذ عرفتم اللّه، بل بالحريّ عُرِفتُم منَ اللّه، فكيف ترجعون أيضاً إلى الأركان الضعيفة الفقيرة التي تُريدون أن تُستَعبَدُوا لها من جديد؟ أتَحفَظُونَ أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين» (غلا ٤: ٨-١٠).

إنّ الرمزيّة المسيحيّة مؤسّسة على **الكلمة** المتأنّس، إبن اللّه الذي تأنّس واتحد بالمخلوق - بدافع من محبّته - وعَبَرَ هذه الهوّة بين المخلوق وغير المخلوق. وبدون **التجسّد** سيظل أي رمز عاجزاً عن عبور الهوّة بين المخلوق والخالق «ليسَ بيننا مُصالحٌ يَضَعُ يَدَهُ على كلَيْنا ليرفعْ عَنّي عَصاهُ ولا يَبْغَتني رُعْبُهُ» (أيوب ٩: ٣٢).

والقديس كيرلس الإسكندري يصف عبور هذه الهوّة بالمسيح قائلاً: «إنّ الإنجيليّ (يوحنا) يصف الإبن الوحيد بكل الصفات الخاصّة باللّه ولاسيّما أنه حاضر بدون انقطاع في العالم لأنّه بالطبيعة هو الحياة وهو نورٌ بجوهره ويملأ الخليقة كإله غير محصور في مكان، ولا يُقاس بمقاييس، ولا يُدرك بالكَمّ، ولا يُحيط به شيءٌ. ولا يتحرّك من مكان إلى آخر، ولكنه يسكن في الكل ولا يُفارق أحداً، ومع كلّ هذا يُقال إنّه أتى إلى العالم رغم حضوره الدائم فيه. وهذا المجيء إلى العالم هو التجسّد، لأنّه أعلَنَ نفسه للذين على الأرض وتحدّث مع البشر (باروخ ٣: ٣٧) عندما تجسّد، وجعل حضوره في العالم ظاهراً للكل. والذي كان في الماضي معروفاً لفكر الإنسان صار مرئياً بعيون الجسد أيضاً ولاسيّما عندما صار ظاهراً بالعجائب والقوّات. ويترجّى المرنّم مجيء النور والحقّ لكي ينير الكلمة العالم عندما يتجسّد».

هكذا عبرَ الإنسان الهوّة، إذ أعلَنَ غير المخلوق عن نفسه بالتجسّد وتحدّث مع البَشر. ويوضّح **القديس كيرلس** هذه الحقيقة بقوله: «فالإبن ينير الخليقة كخالق لأنّه النور الحقيقي، وعندما تشترك الخليقة في نور الإبن تُشرق بنوره وتُصبح في هذه الحالة نوراً، لأنّه بتعطّف الإبن ترتفع إلى فوق، لأنّه مَجَّدَ الخليقة وكلّلها بأكاليل متنوّعة من الكرامة، لكي يأتي إليه كل من نال كرامة ويرفع صلوات الشكر بصوت عال: «باركي يا نفسي الربّ ولا تنسي جميع مكافآته» (مز ١٠٢: ٢)».

هكذا بتأنّس إبن اللّه وعبور الهوّة أصبَح ممكناً تحقيق الهدف من الرَمز، لكن تحت مبادىء **لا تُخترَق**:

أ - أي رمزيّة لا يمكن أن تتأسّس فقط على التشابه الشكلي بين ملامح الوسيلة الرمزيّة والمخلوقة والملامح الإلهيّة غير المخلوقة. فالعالم المادّي والعالم المعنوي والعقلي أيضاً لا يمكن لهم أن يُصَوّروا اللّه غير المنظور. عبور الهوّة **تَمَّ** في **المسيح فقط**، إذ هو ذاته الوسيلة التي تمَّ بها هذا العبور.

ب - وطالما أنَّ أي رمزيّة لا تكون مؤسّسة فقط على الخواص الطبيعيّة للوسيلة الرمزيّة لكن على الحريّة الشخصيّة، فكل الرموز في الكنيسة تُؤسّس على الحوادث التاريخيّة لتدبير اللّه الخلاصيّ لأنها نابعة **من محبّة اللّه وخضوع الإبن وفعل الروح القدس**.

ج - وحيث إنّ كل الحوادث التاريخيّة لتدبير اللّه الخلاصي يكتمل فهمها ليس بالرجوع إلى الماضي بل في بُعدها الأخروي، إذن فكل

رمز يُشير إلى حدَث أخروي ، أي إلى **ملكوت اللّه في ملئه** .هكذا كل رمز يُشير إلى حقيقة أُخرويّة ، وهذه الحقيقة ليست موجودة في طبيعة المواد المستخدمة أو الوسائل التي يستخدمها الرمز ، وهي ليست فقط موجودة في الحوادث التي حدثت في الماضي بل المهم هو مدى دلالة الرمز تجاه الحقيق الأخرويّة.

نستطيع أن نطبّق هذه المبادىء في العبادة الأرثوذكسيّة:

الرمزيّة في العبادة الأرثوذكسيّة:

لقد بدأت العبادة الكنسيّة بقيامة الربّ. لأن قبل قيامة المسيح لم تكن العبادة المسيحيّة «في الروح والحق» (يو٤:٢٣)، «لأنّ الروح القدس لم يكن قد أُعطى بعد لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد» (يو٧:٣٩). الكلام هنا عن الروح القدس الذي أعطاه المسيح بعد قيامته إلى تلاميذه (يو٢٠:٢٢) ، وبواسطة هؤلاء التلاميذ أُعطى الروح لكل الكنيسة. وهذا ما جعل العبادة المسيحيّة عبادة روحيّة تتطلّع وتدخل إلى **«الأيام الأخيرة»** ، لذا قال القديس بطرس في عظته يوم الخمسين: «يقول اللّه ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكُب من روحي على كُلِّ بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً. وعلى عبيدي أيضاً وإمائي أسكُب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون» (أع٢:١٧–١٨ ـ يوئيل٢:٢٨).

المسيح مات عنّا ليفتدينا من سلطان الموت ويهبنا الحياة الأبديّة .

هكذا بالقيامة تحقّق بالتمام عبور الهوّة التي كانت تفصل بين الخالق والمخلوق. فالسجود للمسيح القائم والعبادة التي قُدّمت له ، إذ هو الربّ الجالس في يمين الآب ، هما بمثابة محورَ العبادة المسيحيّة. وكذلك إتمام العشاء السرّيّ (لو٢٤:٣٠) من جانب التلاميذ، أي الإفخارستيّا التي هي حدثٌ أُخرويّ بعد قيامة الربّ هي أيضاً محورَ عبادتنا ، **لأنّ القيامة هي حدثٌ أُخرويّ وليست مجرّد حدث تاريخي**. فالقيامة هي انتصار على "العدوّ الأخير" أي **الموت** وإشراق **"اليوم الأبدي"** . لكن ماذا يعني كُلّ هذا للرمزيّة ؟

يعني أنّ رمزيّة العبادة المسيحيّة لا تتحرّك بعد القيامة بين العالم الطبيعي والعالم العقلي أو بين حوادث العهد القديم ، لكن بالحريّ بين القيامة والمجيء الثاني. بشكلٍ عام لدينا مستويان من الرموز.

المستوى الأوّل: يربط رمزيّة العبادة بالحوادث التاريخيّة في الماضي. أما **المستوى الثاني:** فيربط العبادة بحوادث سوفَ تحدث أيّ أُخرويّة.

إنّ كل الرمزيّة الموجودة في العبادة الكنسيّة لها هذان المستويان. الأوّل يرتبط بحوادث الماضي التاريخيّة ويُمكن أن ندعوها نماذجيّة Τυπολογικός وهذا نراه بكثرة في العظات السرائريّة للقديس كيرللس الأورشليمي **(أنظر المقالة تجسّد وتأنس للقديس كيرللس الأورشليمي في العدد السابق من مجلة نور المسيح لشهر كانون الثاني ٢٠١٠)**.

وأيضاً في كتاب جان دانيلو المعروف: "الإنجيل والليتورجيّا" .

وعبادة الكنيسة كانت منذ البداية مملوءة من الملامح النماذجيّة: فالمعموديّة لها نماذجها في العهد القديم: الختان، عبور البحر الأحمر ، الطوفان .. إلخ. نفس الأمر يسري على بقيّة الأسرار الأخرى. وأي رمزيّة في العبادة لا تتجه ناحية طبيعة الوسيلة الرمزيّة وخصائصها. على سبيل المثال: الماء في المعموديّة لا ينحصر دلالته على الخصائص الطبيعيّة للماء الذي يُنقّي الجسد فقط ، بل على الحدث التاريخي الذي تمَّ في الماء من خلال عبور البحر الأحمر مثلاً أو الطوفان. **فقوّة الرمز لا تنبع من أي خاصيّة طبيعيّة للوسيلة المستخدمة**. والجدير بالذكر أن دلالة الخصائص الطبيعيّة موجودة ولكن ليست هي منبع القوّة ، فمثلاً إرتباط الغرب بالظلام أثناء إلتفات المُعَمّد ناحية الغرب وجحد الشيطان. وإلى الشرق أثناء إقرار الإيمان والإنضمام إلى المسيح ، يدلّ على أنّ الخصائص الطبيعيّة لها دورٌ ألاّ وهو التشابه بين الرمز والمرموز إليه والذي قلنا عنه أنّه لابدّ أن يكون موجوداً. فالغرب حيثُ غروب الشمس وحلول الظلام يُشير إلى المكان المُظلم الذي هو مسكن الشيطان، أما الشرق المضيء بشروق الشمس فهي مكان شمس البرّ مسكن المسيح. وهذا لا يعني أنّ اللّه ليس موجوداً في كلّ مكان ، حاشا ، بل إنّ اللّه موجود في كل مكان ، فهو "الحاضر في كلّ مكان والمالىء الكل" . وفي الأعياد السيّديّة مثل الأبيفانيا أو رفع الصليب ، نصلّي كيرياليسون في الإتجاهات الأربعة. إذن رمزيّة الغرب والشرق لها دور محدّد يخدم المعنى والدلالة المُشار إليها.

أما المستوى الثاني: فيختص بالرمزيّة التي تتحرك بين القيامة والمستقبل في شكله الأُخرويّ. هذه الرمزيّة يمكننا أن نسميها التصويريّة Εικονολογικός (إيكونولوچيكوس)، فإن كان الآباء قد استخدموا المثال والنموذج Τύπος (تيپوس) بكثرة لتفسير حوادث العهد القديم، فإن مصطلح الأيقونة Εικών (إيكُـون) قد استخدمه الآباء للعهد الجديد. ومن الجدير بالملاحظة أنّ آباء مدرسة الإسكندريّة: **إكليمندس وأوريجينوس** قد فسّروا حوادث العهد القديم على أنّها أيقونة للحقيقة التي تمّت في العهد الجديد ، وهذا ما نجده عند **يوسابيوس القيصري** أيضاً. ويستخدم **ديونيسيوس الأريوباغي** مُصطلح أيقونة أو صورة ليبرهن على أنّ العبادة الأرضيّة هي صورة وأيقونة للعبادة السماويّة. ولعلّ الصلاة التي نصليها في صلاة السَحَر تعبّر بوضوح عن هذه الحقيقة "لنقتدينَّ بالنظام الملائكي **(نحن الذين على الأرض)** جاعلين قلوبنا في السماء.." .

إذن الفرق بين الأيقونة والمثال والظلّ ، هو أنّ الأيقونة تستند على نعمة العهد الجديد وعلى الكلمة المتجسّد الذي تجسّد بالفعل

وتمّم خلاصنا، وليس على انتظار تجسّد **الكلمة**. وفي هذا الإطار دافع **القديس يوحنا الدمشقي** عن الأيقونة بأنّ التأنّس أعطى إمكانيّة أن يكون لدينا صورة أو أيقونة لأنّه بالتجسّد صار لإبن اللّه حقيقة تاريخيّة.

الأيقونة هي بمثابة حضور شخصي لصاحبها ، وأيقونات القديسين تمثّل سحابة للشهود المحيطة بنا. ومن هنا نستطيع أن نفهم ما تقوم به الكنيسة من تدشين الأيقونات ومَسحها بالمسحة المقدّسة. ومن يرفض الأيقونة كحضور شخصي لا يَستطيع أن يتمتّع بالعبادة بحسب كنيستنا الأرثوذكسيّة. إذن لا نستطيع أن نختزل الأيقونة باعتبارها فقط مجرّد صورة تعبيريّة يتواصل معها البسطاء ، وإلاّ ما الداعي لتمسُّك الكنيسة بالأيقونات وتكريمها وتدشينها. ولا نستطيع أن نحصر قوّة الأيقونة في المواد المصنوعة منها أو الرسم والألوان ولكن هي في الحضور الشخصي لصاحب الأيقونة.

الرمزيّة التصويريّة:

كما سبق أن قُلنا إنّ الأيقونة هي بمثابة حضور شخصي وهي في حدِّ ذاتها كمواد طبيعيّة لا تحتوي في داخلها أي قوّة. إذن حقيقة الرمزيّة هي في الحضور الشخصي والحدث التاريخي. وقول **القديس يوحنا الدمشقي** المعروف: "نحنُ لا نعبد المادة بل نسجد لخالق المادة" ، هو قول يشدّنا على **إكرامنا لرفات القديسين، وتكريمنا للأواني المقدّسة ، والملابس الكهنوتيّة ، والمذابح ... إلخ**. فالفعل الإلهي الذي ننال منه البَركة لا يسكن في طبيعة الأشياء، إذ أنّه فعل إلهي مقدّس يتطلّب قبولاً شخصياً. فالبركة التي أنالها عندما ألمس أيقونة القديس وأصلّي أمامها تنبع من الحضور الشخصي للقديس، وقبولي وتجاوبي مع الحضور ، وليس مجرد اللمس والإتصال الطبيعي بالأيقونة.

وعندما نتحدّث عن الإفخارستيّا أو القداس الإلهيّ نرى أيقونة السماء على الأرض، أو بالحري نرى تجلّي الكنيسة الأرضيّة وتحوّلها إلى سماء. إنها أيقونة السماء كما ذكرنا عندما نصلّي قائلين: "لنقتدينَّ بالنظام الملائكي **(نحن الذين على الأرض)** جاعلين قلوبنا في السماء.." . هكذا نرى ليتورجيّة سماويّة ، فالهيكل هو ملكوت اللّه ويسوع الملك مُحاط بالقديسين. والأسقف صورة للمسيح الجالس على العرش. والكهنة هم صورة الرسل الذين يحيطون بالمسيح. والشمامسة هم صورة الملائكة الذين هم أرواح خادمة مُرسلة للخدمة (عب١:١٤) ، يتحركون بين الشعب والإكليروس. الشعب المجتمع الذي يحمل التقدمات (خبز، خمر، زيت ...إلخ) هم صورة لشعب اللّه. ومجيء الأسقف إلى الكنيسة هو حدث ليتورجي عظيم له طقس في كنيستنا لأنّه يصوّر مجيء المسيح إلى العالم في حضوره الأوّل وكذلك في حضوره الثاني ، واستقباله من جانب الإكليروس والشعب هو قبول المسيح.

القديس يوحنا الدمشقي

هكذا فإنّ الرمزيّة موجودة في عبادتنا، ولكن الرمزيّة ليست هدفاً في ذاتها ، هي فقط تُشير إلى الحقيقة. والرمزيّة المسيحيّة هي مُؤسسة على **التجسّد الإلهي**. وقوّة الرمز لا تكمن في الرمز نفسه كمادة بل في إشارته إلى الحدث الخلاصي الذي تمّمه المسيح ، وبذلك يتحقّق عبور الهوّة بين غير المخلوق والمخلوق في شخص المسيح. كذلك رأينا كيف أنّ "**المثال**" يُشير إلى حوادث خلاصيّة سوف يتمّمها المسيح، ويتناسب مصطلح "**المثال**" مع حوادث العهد القديم، فعلى سبيل المثال "ماء الخلق الأوّل" يُشير إلى **المعموديّة**، وكذلك عبور البحر الأحمر يشير أيضاً إلى **المعموديّة**، وأمثلة كثيرة في العهد القديم نجدها تُشير إلى بقيّة الأسرار مثل المنّ الذي يُشير إلى الإفخارستيّا. أما "**الصورة**" فهي تحقيق لما تمّ بالفعل في المسيح: "لنقتدينَّ بالنظام الملائكي **(نحن الذين على الأرض)** جاعلين قلوبنا في السماء..". لذا نرى أنّ القداس الإلهيّ هو صورة لتجلي الأرض لتصير سماءً. هذه الرمزيّة الموجودة في عبادتنا الأرثوذكسيّة والتي تستمدّ قوّتها من شخص المسيح.

سر عظمة النصارى

زار الخليفة الحاكم أحد وزرائه وكان نصرانياً يدعى بالوزير جريس ، وكانت بينهما مودّة كبيرة ، فأراد الخليفة أن يُكرّمه ويُشرّفه بزيارته ، وخلال هذه الزيارة الهامّة ، لَمحَ سيّدة عجوزاً محنيّة الظهر تَمرُّ أمامه ؛ فسأله من هذه المرأة أيها الوزير جريس؟ فقال له إنّها زوجتي ، فهزّ الحاكم رأسه في دهشة وإستغراب .

وعند عودته إلى ديوانه أرسَلَ إليه سبعاً من العذارى الجميلات الحسان والفاتنات بصحبة مستشاره الخاص ومعه رسالة يقول فيها : «لقد رأيتُ بالأمس مذلّتك في البيت فها أنذا أُرسِل إليك هؤلاء العذارى لتختار منهنّ ما تشاء وإذا أردت أن تُبقي عليهنّ جميعاً فلَكَ ما تشاء». فأوقف الوزير هذه البضاعة عند باب بيته وكتَبَ يردّ على الخليفة: «نحنُ النصارى لا نأخذ أكثر من زوجة واحدة نُعطيها قلبَنا وحبَّنا وولائنا ولَن نرتضي بغيرها بديلا ... وأما هذه التي تقول عنها أنّها مذلّتي فهي تاج رأسي وأليفة شبابي وشريكة حياتي ، هي التي سهرت عليّ يوم مرضت ، ضحكت لضحكي وبكت لبُكائي ... فها هي ذي بضاعتك مرتدّة إليكَ مشكورا»! وعندما وصلت العذارى إلى الخليفة مع هذه الرسالة هزَّ رأسه وقال: **«الآنَ علمت سرّ عظمتكم أيها النصارى»**.

حضور المسيح في عرس قانا يتجدّد في كل زواج مقدّس

تفسيرُ القدّاسِ الإلهيّ

الأب المتوحّد غريغوريوس (الجبل المقدّس - جبل آثوس)

تعريب الشمّاس سلوان موسي - دير سيّدة البلمند البطريركيّ

تتمة من العدد السابق

* إفتقاد اللّه لنا

وتجسّد الكلمة هو الإفتقاد الذي صنعه اللّه للبشر: "لقد افتقدنا من العلى مخلصنا" (سَحَر الميلاد). بطلبنا الآن من اللّه أن يفتقدنا، فإنّنا نطلب أن يمتدّ إفتقاده الأوّل وأن نعيش بالقدّاس الإلهيّ، سرّ إفتقاده على الأرض. نتوسّل إلى الربّ أن يبسط، إلى حين مجيئه الثاني، إفتقاده الإلهيّ وأن يبقى معنا ليس كمفتقد ولكن كربّ بيت خاص بنا وبالعالم.

وبين إفتقاد الكلمة الأوّل ومجيئه الثاني، يمتدّ هذا الدهر الحاضر. نجاهد فيه، نحن المؤمنين، لنحبّ الربّ، لأنّ المحبّة تُساعدنا في عيشنا لسرّ افتقاده: «إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبّه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع مقاماً» المحبّة تطيل افتقاد اللّه إلى الأبد وتحوّل الإنسان إلى مفتقد له: «اللّه محبّة والذي يقيم في المحبّة يقيم في اللّه واللّه فيه». باشتراكنا في سرّ المحبّة الإلهيّة، أي في القدّاس الإلهيّ والمناولة الإلهيّة، نكهن سرّ افتقاد الربّ لعالمنا ولحياتنا: «الذي يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فيَّ وأنا فيه». يقول المسيح.

القرابين المقدّسة

* مَن به تتطهّر المسكونة

ذكر الكاهن في خدمة القرابين، أسقفه والمشتركين معه في الخدمة، والأحياء والراقدين من الأخوة. وعندما ذكر أسماءهم اقتطع لهم أجزاء ووضعها قرب جسد المسيح، والحَمَل الذي يرفع خطيئة العالم. المسيح حاضر الآن بعد تقديس القدسات. فنستطيع الآن إذاً مع الكاهن أن نتوسّل أكثر لأجل إخوتنا القريبين والبعيدين، الأحياء والراقدين.

ويقول الكاهن: "وأيضاً نقرّب لك هذه العبادة الناطقة من أجل المسكونة". وإذا افترضنا أنّ أخاً واحداً يشترك في القدّاس الإلهيّ، فبوسعنا القول إنّ المسكونة حاضرة هناك في المحفل الذي يؤلّفه هذا الأخ مع الكاهن. فيكون حينئذ القدّاس الإلهيّ "مجمع الكنيسة المسكوني". فذكرنا في تلكَ الساعة للأخوة "هو كرازة بهذا السرّ الرهيب، أنّ اللّه أعطى نفسه لأجل المسكونة".

المسيح أمامنا، "من به تتطهّر المسكونة"، بحضوره يؤلّف الكاهن مع المؤمنين المجتمعين الكنيسة المسكونيّة. الكلّ يتلألأ بنور محبّته، المسكونة قاطبة "تتجدّد وتتألّه".

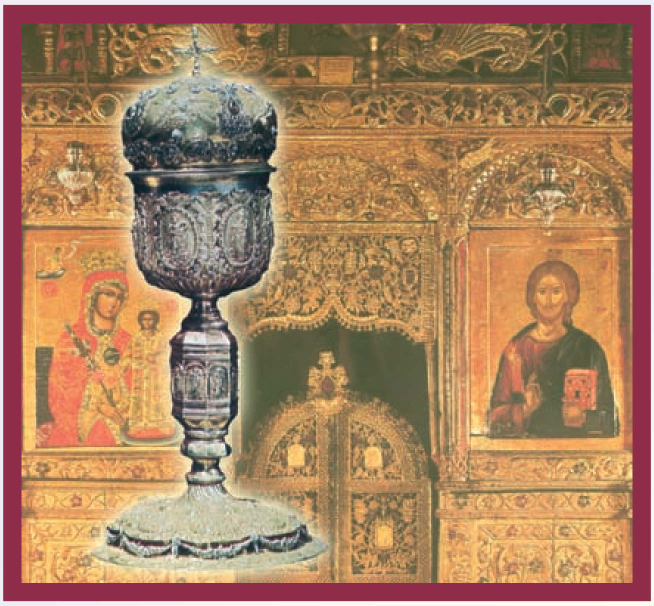

الكاهن بصوت منخفض يقول: أذكر يا ربّ هذه المدينة (أو هذا الدير المقدّس) التي نحنُ قاطنوها وجميع المدن والقرى وساكنيها بإيمان. أذكر يا ربّ المسافرين في البحر والسائرين في البرّ والمرضى والمُصابين والأسرى وخلاصهم. أذكر يا ربّ الذين يثمرون، والذين يفتقدون المساكين وأرسل مراحمك علينا جميعاً. ويُعلن: وأعطنا أن نمجّد ونسبّح بفم واحد وقلب واحد اسمك الكليّ الإكرام والعظيم الجلال أيّها الآبُ والإبنُ والروحُ القدس. الآن وكلّ أوان وإلى دهر الداهرين.

الشعب: آمين.

* بفم واحد وقلب واحد

لكي تمجّد الجماعة الليتورجيّة إسم اللّه الكليّ الإكرام والعظيم الجلال، ينبغي أن تكون قلباً واحداً وفماً واحداً. كثيراً ما يحصل أنّ أُناساً، يعيشون خارج كنف الكنيسة والقدّاس الإلهيّ، يتّفقون على أمر ويترجّونه بفم واحد. صوتهم مشترك، أمّا دقّات قلوبهم فلا. محرّكاتهم الداخليّة العميقة وأفكارهم ليست صدى للكلمات الصادرة من أفواههم.

ولكن في الكنيسة والقدّاس الإلهيّ يوجد ترتيب آخر، حياة أخرى. في المجدلة الشكريّة أفواه المؤمنين وقلوبهم تنطق بأصوات متّفقة. قد غدا المؤمنون بنعمة الروح القدس، فَماً واحداً وقلباً واحداً، «محبّة واحدة بنفس واحدة، مفتكرين شيئاً واحداً» (فيلبي ٢:٢).

وحدة المحبّة هذه هي "هبة منحدرة من العلوّ". المسيحيّون الأوائل كانوا قد اقتنوا هذه الوحدة على درجة سامية. جمْع واحد بقلب واحد. لذا يحثّنا المتوشّح باللّه باسيليوس الكبير إلى الغيرة منهم والتشبّه بهم، لأنّ كلّ شيء كان مشتركاً بينهم: "السيرة، النفس، التوافق، المائدة المشتركة، أخويّة غير منقسمة، محبّة بلا مراءاة، أجساد كثيرة تعمل كأنّها أعضاء جسد واحد، النفوس الكثيرة متّحدة في عزم واحد".

في جوّ هذه المحبّة الموحّدة، حشد المؤمنين هو "كأوتار القيثارة. إنّها بالفعل أوتار كثيرة، ولكنّها إذ تميل جميعها إلى صوت متجانس متّفق، تؤدّي نشيداً فرحاً". نغدو فماً واحداً يسبّح "**المحبّة**". وقلباً واحداً ينبض لأجل "**المحبّة**". (القديس يوحنا الذهبيّ الفم).

ويبارك **الكاهن** الشعب: ولتكن مراحم الإله العظيم ومخلصنا يسوع المسيح مع جميعكم.

الشعب: ومع روحك أيضاً.

الشمّاس: بعد ذكرنا جميع القدّيسين أيضاً وأيضاً بسلام إلى الربّ نطلب. من أجل هذه القرابين المكرّمة التي قدّمت وقدّست إلى الربّ نطلب. حتى أنّ إلهنا المحبّ البشر الذي اقتبلها على مذبحه السماويّ العقليّ لرائحة زكيّة روحانيّة، يُرسِل عوضها النعمة الإلهيّة وموهبة الروح القدس نطلب.

* لرائحة زكيّة روحانيّة

لدينا اليقين أنّ القرابين الكريمة قد غدت مقبولة على المذبح السماويّ "لرائحة زكيّة روحانيّة" لأنّ المسيح هو "طِيب الألوهة"، و"رائحة طيوبه تفوق كلّ العطور".

قَبلَ تجسّده، كان **الكلمة** "**طيباً**" قائماً في ذاته. بتجسّده يفرغ ذاته ويغدو "دهناً مهراقاً". والسيدة العذراء، التي حبلت بالمسيح، غدت "**القارورة العقليّة، تحمل المسيح مثل طيب لا يفرُغ، وتأتي إلى المغارة لتفرغه بالرّوح لكي توعب من عَرْفِه نفوسنا**".

قد كان لوُرود الطيب الإلهيّ إلى العالم نتائج فاضلة على المتنشّقين رائحته. فالطبيعة البشريّة التي كانت هي نفسها قبل تجسّد الكلمة حائطاً مرتفعاً بين اللّه والإنسان، قد غدت طيباً بالحياة في المسيح. لذا لم يَعُد هناك بعد عائق في سبيل الوحدة مع المسيح. "فلو كان ممكناً، بطريقة من الطُرق، أن يتحوّل صندوق الطِيب نفسه إلى طِيب، لَما كان بوسع الطيب أن يبقى عنده محتجزاً داخل الصندوق، وبصورة مشابهة، فطالما قد تألّهت الطبيعة البشريّة «بالجسد» الخلاصيّ، فلم يَعُد هناك أي عائق بين الجنس البشري واللّه" (نيقولاوس كاباسيلاس). فقد غدا صندوق الطيب طيباً، فهو يدهن الإنسان ويجعله ممسوحاً (أي مسيحاً)، كما دُعي يسوع مسيحاً لأنّه ممسوح من اللّه.

في كلّ القدّاس الإلهيّ، المسيح هو الطيب المقدّس الذي يُفرغ ذاته فيتعطّر العالم "بروائح إلهيّة ملهمة". فيتعطّر إجتماع المؤمنين الشكريّ برائحة زكيّة وكذلك كلّ إنسان. ويقول القديس يوحنا الذهبيّ الفم إنّه يكفي أن تلفظ إسم يسوع فقط "لتعبق للحال رائحة زكيّة". ويبثّ تمجيد الخالق في قلب رافعه رائحة زكيّة، لذا تهتف نفوسنا نحو السيّدة قائلة: "طيبي فاسدٌ وطيبُك حياة واسمك طيبٌ يَدْفُق على المستحقين". القدّاس الإلهيّ هو سرّ يفرغ فيه طيب "**الحياة**" نفسه، فينجذب كلّ جلساء المائدة إلى رائحته: "اجذبني وراءك فنجري". تتناول المسيحَ نفوسٌ وتذهب من القدّاس الإلهيّ حاملات طيباً. رائحة المسيح هي "**رائحة حياة لحياة**".

ثمّ يقول **الشمّاس:** من أجل نجاتنا ... أُعضد وخلّص ... أن يكون نهارنا كلّه ... ملاك سلام ... مسامحة خطايانا ... الصالحات والموافقات ... أن نكمّل بقيّة زمان حياتنا ... أن تكون أواخر حياتنا ...

بعد التماسنا الإتحاد في الإيمان وشركة الروح القدس، لنودع أنفسنا وبعضنا بعضاً وكلّ حياتنا للمسيح الإله.

الشعب: يا ربّ ارحم - إستجب يا ربّ - لكَ يا ربّ.

يتبع في العدد القادم

هل العبقرية هبة إلهية

سؤال عالمَي: هل العبقريّة هبة إلهيّة، أم صناعة إنسانيّة؟

من المؤكّد أن هناك عبقريات كبرى لا نعرف كيف ظهرت ولا لماذا؟ ولا نعرف متى يمكن أن تظهر، وإنّما تظلّ الإنسانيّة تنتظر ظهور هذه الموهبة. وحتى عندما تظهر الموهبة، فإنّ التاريخ يروي لنا كثيراً أنّ الموهبة لم تلَقَ التشجيع الذي تستحقّه وإنما لقيت الإضطهاد.

فهل نظلّ في هذا الموقف السلبي أو نلتقي بالموهبة في منتصف الطريق؟ أمّا منتصف الطريق فهو أن نبدأ منذ الطفولة في رياض الأطفال والمدارس.. فإذا ظهرت الموهبة قُمنا بسرعة بفرزها وعزلها عن بقيّة الأطفال والحفاوة الشديدة بها لأنّها طراز مختلف من الأشجار والثمار.. ولا يصح أن نضيّع وقتنا مع الأطفال الذين لا موهبة لهم!

هذا رأي ورأي آخر يرى أنّ التاريخ يؤكّد لنا عبقريات كثيرة كان نموّها متأخراً جداً.

فالعالم نيوتن، وهو أعظم عقل خلقه اللّه قد يئس منه أبوه وأمّه. ودفعا به إلى المدرسة بعد أن فَشلَ في إدارة المزرعة!

والمخترع الأمريكي إديسون الذي باع الصُحف في محطّات القطار، كان نموذجاً للبلادة الذهنيّة ولكن أحداً لم يُدرك دلالة حُب الإستطلاع الشديدة عنده.

ولابدّ أن المدرّس الذي قال للطفل الصغير البليد **داروين**: أنتَ عار على أسرتك، قد ندمَ كثيراً على ذلك.

العالم إسحق نيوتن - رُسمت سنة ١٧٠٢

إنّ القليل يُمكن أن نصنعه للعبقريّة الإلهيّة، ولكن الكثير هو الذي يجب أن نقدّمه للبراعة الإنسانيّة!

أنيس منصور

كلمات روحيّة للراهب پاييسيوس الآثوسي

العودة الى الله والارتفاع من الأرض الى السماء

*** الذهاب الى الدير**

١١١ـ لا تسرع في ذهابك إلى الدير قبل أن تحلّ أمورك في العالم إن أردت أن تسلك بسهولة بين الأخوة .

*** الأهل**

١١٢ـ قبل مغادرتك العالم صلّ صلاةً قلبيّة إلى المسيح وسلّم إخوتك وأهلك إلى اللّه وفيما بعد لا تذكرهم لأن المسيح سوف يتدبّر أمرهم إلزاميّـاً .

*** العون الالهي**

١١٣ـ المبتدىء الذي يتذكّر أهله وأخوته يعيق العون الالهي . وإن ذَكَرَ العالم فلينْسَ بسرعة ما عاناه فيه حتى يستطيع ان يفلتَ منه .

١١٤ـ إن لم تستطع أن تفلت من العالم ، جاهد على الأقلّ ان تقتلع من داخلك روحَ العالم (أو فكرَ العالم) .

١١٥ـ صعب إقتلاع العالم من دواخلنا ، ما لم نُقتلع أولاً نحن من العالم من مسبّباته .

*** المحبة الإلهية والأهل**

١١٦ـ صعب على المرء أن يقتني محبة إلهية إن لم يتخلى عن محبّته لعائلته الصغيرة كي يدخل في عائلتنا الكبيرة عائلة آدم الالهي (الكنيسة) .

*** المبتدىء**

١١٧ـ يجب على المبتدىء أن لا ينغمس في اهتمام دنيوي في بداية حياته الرهبانية كي لا يتشوّش ويضطرب كالشمع الذي يفرقع بسبب فتيله المبلّل بالماء .

١١٨ـ الشاب الحيوي والأناني يجب على الرئيس أن لا يذلّه بقسوة لأنه يسقط مثل الشجرة الغضّة التي تحوي على نسغ (سائل) غذائي كثير عندما تُقلّم كثيراً .

١١٩ـ طالما شجرتك الروحية صغيرة وأغصانها منخفضة ، تَقَبّل بفرح السياجَ الروحي والحدّ من التشتّت كي لا تيبس وتأكلك المعز. إصبر كي تكبَر روحيًا وتُطعِم من ثمارك وتُبرِّد بظلّك .

١٢٠ـ تَربُط الشجرة الصغيرة برفق بالعشب وليس بشريط حديدي كي لا تجرّح القشرة وتضعف، وضبط المبتدىء فليكن لطيفًا حتى لا يضعف روحيًا .

١٢١ـ يجب أن لا يُعطي الأبنُ الروحي حقوقًا روحية لأحد سوى لأبيه الروحي وأن لا يكشف أفكاره لأحد من العلمانيين الذين سوف يؤذونه لأنهم لا يعرفون معنى التواضع الحقيقي .

*** الحرب الجسديّة**

١٢٢ـ ليست الحرب الجسدية عائقًا للشاب الذي يريد أن يصير راهبًا . يكفي ان لا يفكّر بالزواج . وبقليل من التقشف والصوم والسهر والصلاة ، يُخضع الجسدَ للروح ، هذا بالطبع إذا إمتلك فكرًا متواضعًا . فيدّخر الشابُ بالمقابل أجرًا سماويًا على جهاده .

١٢٣ـ لا تتّجه إلى الرهبنة إن لم يكن قلبك بأكمله مندفعًا لذلك وإلاّ ستفشل .

١٢٤ـ الشاب الذي يعطي قلبه كله إلى المسيح ويسلّم نفسه بثقة الى أب روحي مختبر يخلع إنسانه العتيق بسهولة كالبطاطا الجديدة التي تُقشّر بسهولة كبيرة . بينما المسنّ إن لم يكن بسيطًا جدًا ومتواضعًا ، يشبه البطاطا القديمة الصعبة التقشير . وإن غُليت أيضًا يجب أن تُقشر ساخنة .

*** الأسكيم**

١٢٥ـ إن أخذ أحد منذ الصغر الأسكيم ولو تغبّر قليلاً بفعل الزمن فإنّه أنقى من الأسكيم الذي يأخذه المسنّ في آخر أيامه ولو كان نظيفًا مكويًا من الخياط إلى القبر .

*** الذكرانيات**

١٢٦ـ إن أعظم ذكرانية للعالم وللأجداد هو تقدّمنا الروحي لأنه حينئذ يُبرّر وجود المعونة الالهية ـ هذا إلى جانب صلاتنا التي لها دالة ، وإلى جانب الفرح الذي يشعر به الاسلاف بولادة أحفادهم الروحية ـ بينما يعانون ثلاثة أضعاف من حياتنا الرديئة .

١٢٧ـ إنّ أعظم وأفضل والد هو ذاك الأنسان الذي وُلد روحيًا وبعدها يساعد أولاده على ولادتهم الروحية ليضمنوا أنفسهم في الفردوس.

*** المعاقون**

١٢٨ـ كل المعاقين من الولادة أو من جعلهم الآخرون هكذا ، أو صاروا معاقين من قلة إنتباههم إن لم يتذمّروا في حياتهم بل مجّدوا اللّه بتواضع وعاشوا قريبين من المسيح سوف يرتّبهم اللّه مع القديسن المعترفين .

*** التقدمة للّه**

١٢٩ـ الأله الطيّب والأمين كلّه ، يتأثر من تقدمتنا الشحيحة بينما نحن الناس نأكل العسلَ اللذيذ ونقدّم الشمع للّه ، ومع هذا فهو يفرح لتقدمتنا القليلة هذه .

الرموز التي وردت في العهد القديم عن السيّدة العذراء شجرة الحياة (٢)

٢) شجرة الحياة

القدّيس كيرلّس رئيس أساقفة الإسكندريّة، أعطى لنا فكرة روحيّة رائعة مؤدّاها أن شجرة الحياة التي في وسط فردوس اللّه «وأنبتَ الربّ الإله من الأرض شجرة شهيّة للنظر وجيّدة للأكل. وشجرة الحياة في وسط الجنّة وشجرة معرفة الخير والشرّ» (تك٢:٩). هي مريم العذراء نمت فخرج منها ذلك الذي مدّ ظلّه على العالم بأسره، وقدّم ثماره الشهيّة للذين في أقاصي الأرض والقريبين. ومعروف أن شجرة الحياة من يأكل منها لا يموت (تك١:٢٢).. فإنّ السيّد المسيح قد أعلن لنا أنّه: هو الحياة: «أنا هو القيامة والحياة من آمن بي ولو مات فسيحيا وكل مَن كان حيّاً وآمن بي فلن يموت إلى الأبد» (يو١١:٢٥-٢٦).

إذاً فالسيّد المسيح هو الحياة، والعذراء مريم الشجرة التي حملت هذا الثمر.

القديس كيرلس الإسكندري

إفرحي يا من أينعت غارس حياتنا

رسالة للأسرة المسيحية، في هذه الأيام العصيبة

الأُسرة في خَطَر عظيم إذا هي لم تنفتح على معنى الأبوّة الواحدة في اللّه والأمومة الواحدة في الكنيسة والأخوّة المشتركة في المسيح بالرّوح. لابدّ من كَسر الحواجز التي يبنيها الجسد **أوّلاً بأوّل** حتى لا يغلق علينا الجسد فيما له ويُضيِّع علينا وعلى أولادنا نصيبنا الأسمى في اللّه.

المسيح يلحّ علينا أن نكفّ عن أن ندعو لنا أباً على الأرض حتى ننتبه إلى الأبوّة العالية الدائمة التي لنا في اللّه، التي تنبثق منها كلّ الأبوّات الجسديّة. فإذا لم توصل أُبوّة الجسد إلى أبوّة اللّه النابعة منها، فهي تكون حينئذ غريبة عن اللّه الذي ولدَها من روحه وحينئذ تَفقِد معناها وكرامتها الروحيّة الواجبة.

+ لابدّ للأسرة لكي تحتفظ بكيانها الإلهيّ الخالد أن تتنازَل عن إكتفائها بالروابط الجسديّة التي تشدُّ بها أفرادها معاً فتحرمهم - دون أن تدري - من **أُبوّة اللّه وأُمومة الكنيسة وأُخوّة المسيح**.

+ لابدّ لكل أب أُسرَة لكي يعيش في المسيح حقّاً أن يتنازل عن أُبوّته بكل حقوقها للّه فيُعلِّم أولاده أن اللّه يَنبغي أنّ يُحَبَّ ويُطاع كأب أوْحَد للأسرة والكنيسة معاً.

+ ولابدّ لكل أُم لكي تعيش في المسيح حقّاً أن تتنازل عن كلّ حقوقها للّه فلا تعود تُربيهم لنفسها ولكن **للمسيح وللكنيسة**.

وبذلك تنتقل المشاعر في الأولاد من الأب والأم إلى اللّه بسهولة كوضعها المسيحيّ الذي يطلبه الإنجيل، وبذلك تخلد الأسرة في اللّه وَتُضَمُّ برمتّها إلى الكنيسة ثمّ الملكوت.

الأب متى المسكين

لكن أطلبوا ملكوت اللّه وبرَّه، وهذه كلّها تُزاد لكم (متى٦:٣٣)

حـــالة النـــعـمة

للقديس سمعان اللاهوتي الحديث

القديس سمعان اللاهوتي الحديث

لقد فقدت الطبيعة البشرية حالة النعمة التي كانت لها من خلال خطيئة آدم، لذا من الجوهري لنا أن نعرف ما كان عليه آدم قبل فقدان هذه الحالة، وممّا تكوّنت هذه الحالة، أو ما كان هذا الوضع الصالح والمقدّس الذي كان للإنسان قبل الخطيئة.

يخبرنا الآباء القدّيسون أن اللّه صار إنسانًا حتى من خلال تأنّسه يقيم الطبيعة البشرية مجددًا إلى حالة النعمة. إذًا، علينا أن نعرف بأي طريقة يعود الإنسان إلى هذه الحالة عبر تدبير تجسّد المسيح.

اللّه ، عندما خلق الإنسان في البدء، خلقه مقدّسًا بلا هوى وبلا خطيئة ، على صورته ومثاله. وبالضبط كان الإنسان على مثال اللّه الذي خلقه ، لأن اللّه القدّوس الذي بلا خطيئة وبلا هوى يخلق خليقته على هذا المثال. ولكن بما أن **غير التغيّر وغير التحوّل** هي من صفات الألوهة غير المخلوقة وغير الصادرة وحدها، فإنّ الإنسان المخلوق هو متغير ومتبدل، مع أنّه كان عنده الوسيلة والإمكانية بمعونة اللّه لأن لا يخضع للتحوّل والتغيّر.

وهكذا، فالإنسان كان قدّيساً ولهذا لم يكن بحاجة للناموس، لأن البار لا يحتاج الناموس. أية حاجة للناموس لَمن هو قديس وبلا هوى وطاهر. يوصي الناموس بفعل الخير وليس بفعل الشر. لكن الكتاب يقول بأن: «اللّه رأى كل ما صنع ورأى بأنه حسن جداً» (تك١:٣١). وهكذا، بما أن كلّ شيء كان حسناً، ما كانت حاجة الإنسان لأن يتعلّم ما هو الحسن وما هو السيء؟ بما أن كل شيء كان حسناً جداً، لم يكن هذا الإنسان الإلهي بحاجة للناموس.

في أي حال، نظراً لأنه كان بمقدوره أن يأكل من كل أشجار الفردوس وحتى من شجرة الحياة نفسها ، فقد أُعطي له وصية بألاّ يأكل من شجرة واحدة فقط ، حتى يعرف أنّه قابل للتغيّر والتحوّل، فيحترس ويمكث دائماً في تلك الحالة الحسنة المقدسة.

اللّه ، بتلك الكلمات التي قالها له في إعطائه الوصية بأنه إن أكل يموت ، أعطاه أن يفهم بأنه **قابل للتغيّر والتحوّل**.

إذاً ، في الفردوس في ذلك الحين لم يكن أي ناموس ضرورياً ، لا مكتوباً ولا روحياً. لكن بعد أن أكل الإنسان من تلك الشجرة الممنوعة ومات **موتاً مرّاً**، أي أنه سقط بعيداً عن اللّه وصار خاضعاً للفساد، عندها، ولكي لا يسقط كليّاً بعيداً عن كل خير **(لأنّ الشر إنتشر بقوة بين الجنس البشري وكان متسلطاً عليه بالقوة بسبب الضعف المشؤوم الذي خضع له الإنسان كنتيجة للفساد)**، أُعطي له ناموس لكي يشير إلى ما هو حسن وما هو سيء. فالإنسان كان قد عمي، خرج عن تعقله وصار بلا إحساس، وهكذا صار بحاجة لأن يتعلّم كما يأتي في المزامير: «إكشف عن عينيّ فأرى عجائب من شريعتك»(مز١١٨:١٨).

أترون لأية حالة مزرية أتى الإنسان وكيف صار بحاجة للناموس المكتوب؟ إذ إنه بعد سقوطه لم يعد قادراً على معرفة هذا العالم إلاّ إذا أناره اللّه من فوق بمعرفته.

لاحقاً، عندما أتى المسيح ضَمّ في نفسه بشكل جوهري الألوهة مع البشرية حتى أن هاتين اللتين كانتا منفصلتين إلى أبعد حد، أصبحتا شخصاً واحداً ، مع أنهما بقيتا غير منصهرتين ولا ممتزجتين. من ذلك الحين، أصبح الإنسان نوراً من خلال الاتحاد بهذا النور الإلهي الأول الذي لا يغيب ، ولم يعد الإنسان بحاجة لأي ناموس مكتوب لأن **نعمة يسوع المسيح الإلهية** صارت معه وفيه، جالبةً حالة النعمة مثمرةً فيه **المحبة والفرح والسلام وعدم الألم والبِر والرحمة والإيمان والاتضاع وضبط النفس**. لهذا السبب عندما يعدد الرسول بولس ثمار الروح القدس يختم بقوله: «خلاف هذه لا ناموس» (غلاطية٥:٢٣)، لأن البار لا يحتاج لناموس. وأما الذي لم يمتلك بعد هذه الثمار فهو ليس بالمسيح، على ما يقول الرسول: «إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له» (رو٨:٩).

على مثْل هذا الإنسان أن يجاهد ويكافح **ليصير من المسيح** خشية أنْ يكَون إيمانه به عقيماً. في تلك الحالة، لا يفيده المسيح بشيء. كل نضاله وكل جهاده يجب أن يكون موجهاً نحو إكتساب روح المسيح، وذلك ليعطي ثمار الروح القدس لأن في هذه يكمن الناموس الروحي وحالة النعمة.

لكن إذا كانت الطبيعة البشرية، من خلال تجسد المسيح، تعود مجدداً إلى حالة النعمة كما كانت في البدء ، وإذا لم يكن هناك من وسيلة أخرى أو قوة أو حكمة أو عمل أو جهاد به قد تعود الطبيعة البشرية إلى حالة النعمة وتصبح كما خُلقت في البدء ، بل فقط هذه العودة هي في يد اللّه الذي أعطاها وجودها، إذاً ما حاجة الإنسان إلى العمل عبثاً، مجاهداً من أجل هذا من خلال أعماله النسكية وحدها، بالقراءات ومجابهة الشرّ مرهقاً نفسه بالعطش والجوع والسهرانيات ؟

وإذا كانت كل هذه العذابات عبثاً وبلا فائدة للذي لا يعرف سرّ الخلاص العظيم هذا ، عندها تقع على عاتق كل إنسان مهمة تَعَلُّم هذا السرّ ومعرفته حتى لا يجهد بلا جدوى في هذه الآلام ولا يترك نفسه تهلك فيها، وهو الأمر الأكثر **شؤماً من أي كارثة أخرى**. لهذا ينبغي أن تُحتَمَل كل هذه العذابات لا للوصول إلى حالة النعمة، بل للحفاظ على هذه الحالة التي حصلنا عليها قبلاً في **المعمودية المقدسة**، إذ إن الآباء القديسين علّمونا أن هذه هي كنز يصعب الحفاظ عليه وعلينا أن ننتبه جيداً كي نحفظه. وفي الحياة الآتية، سوف لن يُمتَحَن المسيحي في ما إذا كان قد أنكر العالم، أو صام، أو أقام السهرانيات، أو صلّى، أو ناح، أو قام بأي من هذه الأعمال في هذه الحياة. لكنه سوف يُسأل بتدقيق عمّا إذا كان عنده بعض الشبه بالمسيح، كإبن لأبيه، كما يذكر الرسول بولس: «يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضاً إلى أن يتصوّر المسيح فيكم» (غلاطية ٤:١٩)، «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غلاطية ٣:٢٧).

إذا لم يرَ بوابو الملكوت في المسيحي شَبَه المسيح كإبن لأبيه، لن يفتحوا له هذه الأبواب أبداً ولن يسمحوا له بالدخول. إذ كما أن الذين هم على شبه آدم القديم الذي إنتهك وصية اللّه يبقون خارج ملكوت السماوات، بالرغم من أنهم ليسوا مذنبين بكونهم على شبه سلفهم آدم، كذلك المسيحيون، على شبه آدم الجديد أي المسيح، يدخلون الملكوت بالرغم من أنّ شبههم بالمسيح ليس صنيعهم، بل هو تُمم بواسطة الإيمان الذي اقتبلوه بالمسيح.

يكمن شبه المسيح في **الحق والاعتدال والبِر وهذه جميعاً مع الاتضاع ومحبة البشر**. يظهر الحق في كل كلام المرء، ويظهر الاعتدال في كلام الآخرين له. فلأنه معتدل، سواء أكان محاطاً بالمدائح أو بالتوبيخات، يحفظ نفسه بلا تجارب فلا يرتفع بالمديح ولا يتمرمر بالتوبيخ. البرّ محفوظ في كل أعماله. إذ كما أننا نحدّد وزن كل الأمور عن طريق الميزان، وكما نفحص جودة الذهب بحفه على الحجارة، كذلك نحن لا نذهب في أي عمل بعيداً عن حدود البرّ إذا كنا نحفظ في فكرنا هذه المقاييس التي أعطانا إياها الرب، أي الوصايا.

أُدخلوا من الباب الضيّق. لأنّه واسعٌ البابُ ورحبٌ الطريقُ الذي يؤدّي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يجدونه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدّي إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه.

الاتضاع هو مثل كنز لا يُسرَق ، وهو يُنشأ في الفكر الذي يحمل الإيمان بأنه فقط بقوة النعمة الحاصلة من المسيح تكون كل الصفات الحسنة التي يظهرها الإنسان بنفسه، أي الحق والاعتدال والبِرّ. محبة البشر هي شبه اللّه، إذ إنها تصنع الخير لكل الناس، الأتقياء وغير الأتقياء، الأخيار والأشرار، المعروفين والغرباء، تماماً كما أن اللّه يصنع الخير للجميع، ويشرق الشمس على الأبرار والأشرار ويرسل المطر على الشرّيرين والخيّرين.

وهكذا ، إنّ الذين حصلوا على هذا من المسيح فهم يشبهونه ، كما يشبه الإبن أباه ، إذ ليس هناك أيّ إبن من طبيعة مختلفة عن طبيعة أبيه. لهذا صار اللّه إنساناً ، ولهذا صار الإتحاد بين الألوهة والطبيعة البشرية حيث تسود الألوهة على هذه الطبيعة، كما كُتب: «بجلالك أقتحم من أجل الحق والدعة والبرّ» (مز ٤٤:٥).

إذاً ، مَن لا **يملك المسيح عليه** من خلال هذه الفضائل التي تحدثنا عنها، **لا يشبه المسيح كأب له** ولا يستحق دخول ملكوت السماوات. هذه هي الحقيقة. لهذا، كل الجهادات الأخرى هي عبثاً إن لم تكن **بهدف هذه الفضائل**.

فلنجاهد أيها الإخوة لأن نكون على شبه المسيح من خلال هذه الفضائل، حتى نُمنَح ملكوته، له المجد والملك إلى الأبد. آمين

نعمة المعموديّة - للقديس كيرلس الأورشليمي

«عظيمةٌ هي المعموديّة المعدّة فداءً عن المأسورين وصفحاً للأوزار ، وموتاً للخطيئة ، وولادة ثانية للنفس ، وثوباً نيّراً ، وختماً مقدّساً لا ينفك، ومركبة إلى السماء ، وتعليم الفردوس ، وعلّة الملكوت ، ومنحة التبنّي » !!

أيام الخليقة الستة للقديس باسيليوس الكبير Hexameron

هي عنوان لتسع عظات ألقاها القديس باسيليوس الكبير عن نشأة الكون في الأصحاحات الأولى من سفر التكوين

العظة الأولى

في البدء خلق اللّه السموات والأرض

١ ـ من الجيّد أنّ أي شخص يبدأ في سرد قصّة تكوين العالم، لابدّ أن يبدأ بالنظام الجيّد الذي يتحكّم في الأشياء المرئيّة. إنّني على وشك أن أتكلّم عن خلقة السماء والأرض التي لم تكُن تلقائيّة أو عفويّة كما تخيّل البعض ولكنها إستمدّت نشأتها من اللّه.

أيّ أُذن تستحقّ سماع مثل هذه الرواية؟ وبأيّ جدّيّة تتأهّب الروح نفسها لتتلقى مثل هذه الدروس الرفيعة؟ وإلى أي مدى يكون نقائها بعيداً عن الشهوات الجسديّة ؟ وكيف تكون غير ملوّثة بقلق العالم؟ .. كم تكون نَشطة وغيورة في أبحاثها؟ وإلى أي مدى يكوَن طموحها حتى تجد فيما حولها فكرة عن اللّه تكون جديرة به؟؟ .. ولكن قبل موازنة عدالة هذه الملاحظات ، وقبل إختبار كل الأفكار التي تتضمّنها هذه الكلمات القليلة ، دعونا نرى مَن الذي يوجّهها إلينا ! لأنّه وإن كان ضُعف عقولنا لن يسمَح لنا بإدراك عُمق أفكار الكاتب لذا سنُرغَم على الإيمان بكلماته من أجل قوّة سلطانه ...

إنّه موسى النبيّ ... الذي دوّن لنا هذا التاريخ ، موسى الذي وهو مازال رضيعاً قيل عنه أنّه «كان جميلاً جداً» (أع٧:٢٠)، موسى الذي تبنّته إبنة فرعون ، الذي تلقّى منها التعاليم الملكيّة، والذي تربّى على أيدي معلمين وحكماء من مصر ، موسى الذي ازدرى أُبّهَة الملك ... ولكي يشارك شعبه في حالته الذليلة ... فقد فَضَّلَ أن يُضطهَد مع شَعب اللّه عن التمتّع بمباهج الخطيّة. موسى الذي تلقّى من الطبيعة هذا الحُبّ للعدالة حتى أنّه قَبلَ أن يوكَل إليه قيادة شعب اللّه ، وببُغض طبيعيّ في داخله للشرّ ، قد أُكرِهَ على مُطارَدة المجرمين حتى إلى حَدّ عقابهم بالموت. موسى الذي نُفيَ بواسطة مَن أحسنَ إليهم (أي العبرانيين) ، أسرَعَ بالهروب من الإضطرابات في مصر ليختبئ في أرض مديان فيعيش هناك بعيداً عن أي مُطاردات أخرى. فعاشَ هناك أربعين عاماً في تأمّلات في الطبيعة وأخيراً في سنّ الثمانين رأَى اللّه. هذا الذي يستحيل على إنسان أن يراه أو بالأكثر لم يسبق لإنسان أن رآه ، وكشهادة اللّه نفسه: «إنْ كان بينكم نبيٌّ للربّ فبالرؤيا أستعلن له في الحلم أكلّمه. أما عبدي موسى فليس هكذا بل هو أمين في كلّ بيتي. فَماً إلى فَم وعياناً أتكلّم معه لا بالألغاز وشبه الربّ يُعاين» (عدد١٢:٦–٨). إنّه هذا الرَجُل الذي وجَده اللّه مُستحقّاً أن ينظر إليه وجهاً لوجه كالملائكة ، والذي نَقَلَ إلينا ما تعلّمه من اللّه.

دعونا نستمع إذن لهذه الكلمات ، كلمات الحقّ تاتي كُتبَت «ليسَ بكلام الحكمة الإنسانيّة المقنّع»(١كو٢:٤).بل بإرشاد الروح القدس.

كلمات دُوِّنت تَنْتُج عنها لا تصفيق المستمعين إليها بل خلاصاً لمن يسترشد بها.

٢ ـ في البدء خلق اللّه السموات والأرض

لقد توقّفتُ مبهوراً بالإعجاب لهذه الفكرة ... ماذا أقول أولّاً ؟! مِنْ أين سأبدأ قصّتي ؟! هل سأقدّم بطلَ الأمم؟! هل سأمجّد حقيقة إيماننا؟!

لقد أثار الفلاسفة اليونانيين ضجة كبيرة لشرح الطبيعة ولكن لم تبقَ نظريّة واحدة من نظرياتهم ثابتة وغير مهزوزة. كلّها تتغيّر مع ظهور خليفاتها. فليس هناك داعٍ لتفنيدها، فجميعها كفيلة بتحطيم بعضها البعض ... وَمَنَعَهُم جَهْلَهُم عن أن يُدركوا وجود اللّه فلم يعترفوا به كمصدر للخلق مما أدّى بهم إلى نتائج مُخجلة ، فلجأوا إلى أصول المواد وأرجعوا أصل الخليقة إلى العناصر الطبيعيّة. وتخيّل البعض الآخر أنّ طبيعة العالَم المرئي ترجع إلى إتحاد الذرّات والأجسام الواحدَة الخليّة والجزيئات ، وظنّوا أنّ إتحادَ الذرّات وإنفصالها يَنتُج عنه المواليد والوفيات ، وذهبوا إلى أكثر من ذلك في أن سبب تكوّن الأجسام الطويلة العُمر يرجع إلى قوّة إلتصاقها معاً، ونَسَجَ هؤلاء الكتّاب خيوط العنكبوت عندما أرجعوا أصل السماء والأرض والبحر إلى شيء فطري ضعيف حقير ، ويرجع سبب ذلك إلى أنّهم لم يتمكّنوا قول: «في البدء خلَق اللّه السموات والأرض»، فَخَدَعهم إلحادهم وصوَّرَ لهم أنّه ليس هناك شيء يتحكّم في الكون، بل كلّ ما به يتمّ بمحض الصدفة ، لذا قام كاتب قصّة الخلق بتسجيل تلك الكلمات في مقدّمته وهي: «في البدء خلق اللّه» وذلك لئلا نقع في خطأ المُلحدين لهذا ربَطَ في مفهومنا إسم «اللّه» بقصّة الخلق.

إنّه لترتيب رائع ومُبهر فَوَضَعَ هذه المقدّمة لئلاّ يتوهّم البعض أنّ العالَم لم يكُن له بدء ، وأضاف كلمة «خَلَقَ» ليظهر أنّ كُلّ ما تمّ خلقه لم يكُن إلاّ جزءٌ صغير من قدرة الخالق. كما يقوم الفخاري بعمل العديد من الأواني ولكن في جميعها لم يستنفذ فنّه أو موهبته. فقدرة خالق الكون على الخَلق لا يحدّها عالم واحد ، فهي تستطيع أن تخلق إلى مالا نهاية ولكنّها تحتاج إلى إرادته هو حتى تُعطي هذا العالم وجوداً. فلو كان صواباً أنّ العالم له بدء والبدء خُلِقَ بطريقة ما ، فَمَن إذن أعطاهُ هذا البدء ومَنْ خَلَقَ ؟! ... وقد توقّع موسى مثل هذه المعتقدات التي قد تُبعِد بنا عن الحقيقة فوضع هذه المقدّمة أمام أعيننا وفي قلوبنا، «في البدء خلق اللّه» ...

فإنّه هو ، إلهنا الصالح ، الذي يفوق صلاحه كلّ مقياس ، الجدير بحبّ كلّ خليقته العاقلة ، اللّه هو الجمال الذي يرغبه كل إنسان ، مصدر الخليقة ، والحياة ، نور العقل ، وحكمة لا سبيل إلى فهمها ، إنّه هو الذي «في البدء خلقَ السموات والأرض».

٣ ـ أيهّا الإنسان ، لا تتخيّل أنّ الكون ليس له بدء أو أن دوران الأجسام السماويّة في مدار دائري يجعله صعبٌ علينا أن نحدّد بداية الدائرة ، فلا تصدّق أنّ تلك الأجسام التي تدور حركة دائريّة ليست لها بداية، فنحنُ لا ندركها ولكن ذلك الرسّام قد بدأ منها عندما رَسَمَ نصف القُطر في المركز. لذا عندما تنظر الأشكال تتحرّك حركة دائريّة منتظمة بدون أي تداخل ، لا تضع في مخيّلتك أن العالم أيضاً ليس له بداية أو نهاية ، «لأنّ هيئة هذا العالم تزول» (١كو٧:٣١)، و «السماء والأرض تزولان» (مت٢:٣٥). في هذه الكلمات القصيرة التي كُتِبَت في مقدّمة التاريخ المُلهَم أُعلنَت عقائد الآخرة وتجديد الكون.

«في البدء خلق اللّه» ... فذلك الذي بدأ في البدء، كُتبَ عليه أن ينتهي في ملء الزمان. فإذا كانت هناك بداية لا تشكَّ في وجود النهاية. إذن ما فائدة علم الهندسة ، والعمليات الحسابيّة ، ودراسة الأجسام الصلبة وعلم الفلك ، لو أنّ دارسيها تخيلّوا أن العالم خالد خلود الخالق ، خلود اللّه ذاته ، إذ أنّهم أعطوا ذات المجد ، الذي لطبيعة الخالق غيرَ المدركة وغير المرئيّة ، للكون المحدود ذي الجسم المادي. فهم لا يدركون أنه يجب على المجموع أن ينتهي ، إذ أنّ أجزاءه مُعرّضة للتحلّل والتغيير لذا نهاية الكون حتماً ستكون بنهاية أجزائه. «لأنّهم لما عرفوا اللّه لم يمجّدوه أو يشكروه كإله بل حمقوا في أفكارهم وأظلم قلبهم الغبي. وبينما هم يزعمون أنّهم حكماء صاروا جهلاء» (رو١:٢١–٢٢). كما أكّد البعض أن السماء تُزامن اللّه في الوجود منذ الأزل وإلى الأبد (أرسطو) ، وقال آخرون أنّ اللّه ذاته لا بداية له ولا نهاية وهو أساس النظام الخاص لكل الأشياء.

٤ ـ بلا شكّ ، ستكون إدانتهم في يوم من الأيام عظيمة لما أظهروا من حكمة أرضيّة بالرغم مما أثبتته لهم سائر العلوم ، إلاّ أنّهم رفضوا إدراك الحقيقة، فهؤلاء الذين يقيسون بُعد النجوم ويصفونها ، تلك التي في الشمال المتوهّجة على مرأى بيننا والأخرى التي في الجنوب يراها القاطنين هناك ، هؤلاء الذين يقسّمون المنطقة الكرويّة الشماليّة ودائرة البروج إلى أجزاء بلا حصر، الذين يُتابعون بكل دقّة اتجاهات النجوم وأماكنها الثابتة ومَيلها ثمّ عودتها والوقت الذي تتخذه كلٌ منها لتطوّر نفسها، هؤلاء إكتشفوا كلّ شيء عدا شيء واحد: **حقيقة اللّه** ، خالق الكون والديّان العادل الذي يُجازي كل أعمال الحياة بحسب استحقاقها. فعجزوا عن أن يعرّفوا ذواتهم لإدراك فكرة إكتمال الأشياء التابعة لمبدأ الدينونة ، فيدركوا ضرورة تغيّر الكون بتغيّر الأرواح وانتقالها من هذه الحياة إلى حياة جديدة. وفي الواقع ، مادامت طبيعة حياتنا هذه مرتبطة بهذا الكون ، إذن ففي المستقبل ستتمتّع أرواحنا بطبيعة مماثلة لكونها الجديد. ولكنّهم بعيدين كُلّ البُعد عن إدراك مثل هذه الحقائق ، فهُم يضحكون إذا ما ذكرنا أمامهم نهاية كُلّ هذه الأشياء وبعثٌ لأخرى. ولأنّ لكل شيء بداية تسبقه ، وضَعَ كاتب هذه الكلمات في مقدمته عندما بدأ يحدّثنا عن الأشياء التي يرجع أصلها إلى زماننا الحاضر «في البدء خلق اللّه».

٥ ـ ويبدو أنّه قبل وجود هذا العالم قد وُجِدَ ترتيب لبعض الأشياء ، ويستطيع عقلنا البشري أن يُكَوِّن فكرة عنها ، ولكننا لا نستطيع أن نقول شيء عنها ، إذ أنه موضوعٌ عاليَ المقام ، لمن هُم في البداية ، وبمعنى آخر لمَن هُم معدودين أطفالاً في المعرفة. وقد سَبَقَ نشأة الكون وجود بعض الأشياء المتفقة وعمل القوّة الخارقة ، وتتخطّى حدود الزمان واللامحدود والأبدي ، وقد أتقَنَ خالق الكون أعماله فيه ، فهو النّور الروحي الذي أسعَدَ كل من يحبّون الربّ ، العاقلين ، وغير المرئين الذين يصعُب على عقولنا إدراك نظامهم أو حتى معرفة أسمائهم فهم جوهر ذلك العالم غير المرئي ، كما علمنا معلمنا بولس الرسول: «فإنّه فيه خلق الكُل ما في السموات وما على الأرض. ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين» (كولوسي١:١٦). أم فضائل أم حشود ملائكة ، أم كرامات طغمات الملائكة الرئيسين. أخيراً ، كان ضروريّاً أن يُضاف كون آخر لذلك القائم، كون جديد يُعدّ مدرسة ومحل تدريب تتعلّم فيه أرواح البَشَر، ويكون محل سكنى لهؤلاء المقدّر لهم أن يولدوا ويموتوا، لذا خلق هذا الكون من طبيعة مماثلة للآخر ، تعيش فيه الحيوانات والنباتات ، وتموت هذه وتعيش أخرى بدون توقّف على مرّ الزمان ، الذي ينعدم فيه وجود الماضي والمستقبل ويهرب الحاضر قبل أن نلحق به ، وهذه أيضاً هي طبيعة المخلوق الذي نعيش فيه ، كتب عليه أن ينمو ويموت بدون راحة أو استقرار.

لذا ، أُجبرَت أجسام الحيوانات والنباتات أن تتبع تيار واحد يحملها إلى الميلاد والموت ، تعيش في وسط خلائق طبيعتها معرّضة للتغيير..

لذا فإنّ كاتب قصّة الخلق لم ينسَ أن يضع لنا هذه الكلمات في مقدمة كلامه «في البدء خلق اللّه» ، وهو يعني في بدء الزمان ، فلو كان قد جعل للكون نظير (مثل ، مثيل) في البداية ، لم يَكُن هذا دليلاً على أسبقيته لسائر الأشياء التي خُلقَت. لهذا قال أنّه بعدما خلَقَ العالم غير المرئي والعاقل ، بدأ العالم َالمرئي ، عالم المحسوسات في الظهور. فأوّل حركة تُدْعى «بداية» ، «أن تفعل صلاحاً هو بداية طريق الصلاح» (أم٢:٩).

فالأعمال هي حقّـاً الخطوات الأولى للحياة السعيدة، مرّة ثانية نقول «بداية» وهي الجزء الأساسي الذي يقوم عليه الشيء ، فهي الأساس الذي يُبنى عليه البيت ، وهي عارضة السفينة الرئيسيّة. وبهذا المعنى جاءت الآية: «بدء الحكمة مخافة الربّ» (أم٩:١٠). ومعنى آخر تُعَدّ التقوى أساس الكمال ، كما أنّ الفنّ هو بداية عمل الفنان ومهارة بصلائيل الفنيّة بدأت تُزيّن خيمة الإجتماع. ودائماً ما يكون الصلاح أو ما وراء كلّ شيء ، هو بداية كلّ شيء. واستحسان اللّه هو بداية العطاء والصدقة والنهاية المعطاة لنا في وعوده هي بداية أعمال الفضيلة.

٦ ـ هذه هي المعاني المختلفة لكلمة «بداية» ، فتخيّل لو لم نُعطِ كل المعاني. فأنتَ قد تعلم الحقبة الزمنيّة التي تكوَّن فيها هذا الكون إذ أنك رجعت إلى الماضي ، وقد تسعى جاهداً لمعرفة اليوم الأوّل إذن ستعرف ماهيّة حركة الزمان الأولى فتدرك أنّ السموات والأرض

خُلقَتا لتكونا الأساس وبعدها خُلقَت الأشياء المرئيّة في ترتيبها ، كما تدلَ على ذلك كلمة «**بداية**» ، وَستكتشف في النهاية أن الكون لم يُخلَق بمحض الصُدفَة أو بدون سبب ، ولكنّه خُلِقَ لمنفعة كل المخلوقات ، فهو المدرسَة التي تُدرّب فيها الأرواح العَاقلة ذواتها ، وهو الأرض التي يعرف فيها الإنسان اللّه ، إذ أنّه في رؤية الأشياء المرئيّة والمحسوسة ، ينقاد العقل إلى التأمّل في الأشياء غير المرئيّة ، وكما يقول القديس بولس الرسول : «لأنّ أموره غير المنظورة تُرى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات» (رو١:٢٠). وقد تكون هذه الكلمات «في البدء خلق اللّه» دلالة على لحظة الخَلق السريعة. فالبداية هي لحظة لا تنقسم كما أنها لحيظة. فبداية الطريق ليست هي الطريق وبداية البيت ليست هي البيت، لذا فبداية الزمان ليست هي الزمان ، ولا حتى أصغر جزء فيه. فلو قال أحدهم أنّ البداية هي الزمان فيجب عليه أن يطوّعها لتقسيم الزمان إلى : مقدّمة ووسط ونهاية. أنّه لأمرٌ يدعو إلى السخرية أن نتخيّل بداية للبداية ، والأكثر من ذلك لو قسّمنا البداية إلى إثنين، إذن تكون إثنين بدلاً من واحد أو بالأحرى العديد ، إذن ستؤدّي بنا إلى مالا نهاية إذ كل ما يقسّم هو عرضة لأنّ يُقَسّم إلى مالا نهاية. لذا فإنّه «**في البدء خلق اللّه**» تعلمنا أنّ اللّه خَلَقَ الكون بإرادته في أقل من لحظة ، ولنوضح المعنى أكثر: ذَكَرَ بعض المفسّرين «اللّه صنع إجمالاً» أي مرّة واحدة وفي لحظة. عموماً نكتفي بهذا القدر على البداية وإن كانت هذه النقاط قليلة.

٧ ـ ضمن الفنون، نجد البعض يُنتج ، آخرون يمارسون وآخرون يخرجون النظريات. فوظيفة الأخير هي تدريب للفكر ، ووظيفة الثاني هي حركة الجسم. إذا توقّفت، توقّف الكل ولا شيء آخر يُرى. لذا ليس للرقص والموسيقى شيئاً في باطنهم. فليس لهم هدف إلا ذواتهما. أما بالنسبة لأعمال الفنون الخلاقة، فإن العمل يبقى بعد إنتاجه ، مثال ذلك الفن المعماري وهو من الفنون التي تعمل في الخشب والنحاس الأصفر وأعمال الغزل ، فحتى بعد إختفاء الفنان يظهر روعة خَلقه ، وتدعو إلى الإعجاب بخالقها على أساس عمله. والكون هو خلق فنّي عُرِضَ ليراه كُلّ البَشر ليؤمنوا بخالقه ، وموسى لا يستخدم أيّة لفظة أخرى.

«**في البدء**» كتب موسى «**خلقَ اللّه**» ولم يقل «صنع اللّه» أو «شكّل اللّه» بل «**خلقَ اللّه**» لو أنّ الكون زامَنَ اللّه منذ الأزل ، لأنكر البعض أنّ اللّه خلق الكون وقالوا: أنّه وُجِدَ تلقائيّا على أنّه ظلال لقدرة معيّنة. ويقولون أنّ اللّه سببه ولكنه سبب لا إرادي كما أنّ الجسم سبب الظل والشعلة الضوء. ولكي يُصلّح هذا الخطأ ، كتب النبيّ بكل دقّة «**في البدء خلق اللّه**» فلم يجعل الشيء سبباً لوجود ذاته. **فلصلاح** اللّه جعل من الكون عملاً مُقيّداً ، **ولحكمة** اللّه جعله أجمل الأشياء ، **ولقدرته** جعله أعظم الأشياء. ويُرينا موسى إصبع ذلك الفنّان الفائق القدرة الذي يملك مادّة الكون مُشكّلاً أجزاؤه المختلفة في إتقانٍ تامّ كسيمفونيّة منسجمة الأشياء.

«**في البدء خلقَ السموات والأرض**».. فهو إذ ذَكر الطرفَيْن (السماء والأرض) قد أوضح لنا بداءة الكون كلّه مُعطياً السماء حقّ السموّ فتأتى بالأرض في المرتبة الثانية. وخلَقَ كائنات المرحلة الوسطى في نفس الآونة وبالرغم من أنّه لم يذكر شيئاً عن العناصر كالنّار والماء والهواء ، فلنتخيّل إتحادهما معاً وستجدهما كلها في الأرض. إذ أنّ النّار تخرج من الجمر ومن الحديد المستخرج من الأرض تحت ضغط عالي ، عند إحتكاكه.

يا لها من حقيقةً ، فالنّار كامنة في أجسام ولكنّها لا تؤذيها ، بينما تأتي اللحظة التي تخرج فيها هذه النّار لتلتهم أوّلاً تلك الأجسام التي احتفظت بها كل ذلك الوقت.

كما تحوي الأرض الماء ويخبرنا بذلك حافري الآبار. وبها الهواء أيضاً الذي يظهر في الأبخرة التي تخرج عن الأرض الرطبة تحت حرارة الشمس. لذا تبعاً لطبيعتها تحتل السموات المركز الأعلى في الفضاء بينما تحتل الأرض المركز السفلي (ونرى أنّ كلّ ما هو خفيف يصعد إلى السماء بينما يسقط كل ما هو ثقيل إلى الأرض)، إذن فإنّ الإرتفاع والعمق هما أشدّ النقاط بُعداً ، لذا يكفي ذكر الطرفَيْن للدلالة عن تداخل كل الأشياء الأخرى فيما بينهما في ذلك الفضاء. لذا لا تسأل عن حصر للمواد ، فكّر في هدوء عما عسى أن تكون حسب ما جاء بالمخطوطة المقدّسة.

٨ ـ «**في البدء خلقَ السموات والأرض**».. إذا تمنينا اكتشاف جوهر كلّ من الطَرفَيْن الماثلَيْن أمامنا للتأمّل ، سوف يؤدّي بنا الحال إلى إنحرافات كثيرة يطول شرحها. فمثل هذه النقاط لن تُثَبِّت بُنيان الكنيسة. بالنسبة لجوهر السموات ، فنحنُ نرضى بما كتبه لنا إشعياء في لغته البسيطة مبيّناً فكرة كافية عن طبيعتها «خُلقَت السماء كدخان» (أش٥١:٦). وبمعنى آخَر ، فقد خلَقَ اللّه مادّة رقيقة بلا صلابة أو كثافة ، وكوّن منها السماء ، أما بالنسبة لشكل كُل منها ، فنحنُ نعود للغة أشعياء عندما مدح اللّه «الذي ينشر السمّوات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن» (أش٤٠:٢٢). وبشأن الأرض، دعونا نترك التفكير في جوهرها أو مادّتها. فلا نبحث عن طبيعة خالية من الصفات ، ولكن نعلم أنّ كلّ الظواهر التي تكسوها ، تُعتبَر شروط وجودَها وتُكَمّل جوهرها. فبالعقل سنتناول صفاتها ولكننا لن نتوصل إلى شيء. فمثلاً الصفات التي تتناول المذاق مثل السواد، البرودة ، الوزن ، الكثافة ، وهي في كلمة واحدة ما نراه بها ، سنجد أن المادّة تختفي.

إذا سألتك ترك هذه الأسئلة الجوفاء ، فلن أتوقّع أنّك تتجه في بحث إلى دُعامة الأرض ... فهل تتخيّل أن الأرض ترقد على فراش من الهواء؟ فكيفَ تستطيع مثل تلك المادّة الرقيقة أن تتحمّل كل ذلك الضغط فوقها؟ كيفَ لا تَنْزَلِق في كل الإتجاهات لتَجنُّب الوزن الثقيل الذي عليها ، وتنشُر ذاتها فوق الكتلة التي تغمُرُها ؟ هل تعتقد أنّ الماء هو أساس الأرض؟ وجَبَ عليكَ إذن أن تسأل نفسكَ كيفَ أنّ جسماً بهذا الثقَل وتلك العتمة لا يجتاز الماء؟ كيفَ أنّ كتلة بهذا الثقَل تحملها طبيعةَ أضعف منها؟ إذن سنبحث عن قاعدة للمياه وستجد صعوبة بالغة إذا فكّرت في أساس تلك المياه.

٩ ـ هل تعتقد أنّ هناك جسماً أثقَل من الأرض يمنعها من السقوط إلى الهاوية؟ إذن سيحتاج ذلك الجسم إلى دُعامة أقوى منه تحفظه من السقوط ـ هل تتخيّل شيء مثل ذلك تحتاج الدعامة إلى دعامة أقوى منها وإلاّ ستسقُط إلى ما لا نهاية ـ وكلّما تعمّقنا في الفكر أكثر ، كلّما أعطينا تلك الدُعامة أو القاعدة قوّة أعظم تقدِر أن

تحمل كل تلك الكتلة فوقها. ضَع إذن حداً لفكركَ لئلا تُقاد في فضولك إلى إيلام أيّوب إليكَ فيسألك: «على أيّ شيء قواعدها أو مَن وضَعَ حجَر زاويتها؟» (أيوب ٦:٣٨)... وإذا سمعتَ المزمور «المؤسّس الأرض على قواعدها فلا تتزعزع» (مز١٠٣:٥). فستدرك أيّة قوّة تحمل تلك الأساسات.

وإلاّ ماذا يكون معنى تلك الآية «لأنّه على البحار أسّسها» (مز٢٣ :٢)، لو أنّ المياه لا تُنشر حول الأرض!! .. كيف للماء، وهو ذلك السائل الذي ينزلق في أيّ مكان، القدرة على التعلّق بدون سريان؟ ولا يُمكن لكَ أن تظنّ أن الأرض معلّقة بذاتها لأن طبيعتها أثقل. ولكن دعنا إلى الإعتراف بأنّ الأرض ترتكز على ذاتها أو أنّها تصعد فوق المياه. ونظلّ في إيماننا بفكر الدين والإعتراف بقدرة الخالق. دعنا نردّ على ذواتنا ونردّ على كُل مَن يسألنا أساس تلك الكتلة بأن نقول: «الذي بيده مناصب الأرض» (مز٩٤:٤)، و «مَن ثَبّت جميع أطراف الأرض» (أم٣٠:٤)، وهي وثيقة منزّهة عن أي خطأ تفيد معرفتنا وسامعينا أيضاً.

١٠ – هناك تساؤلات حول تلك الطبيعة، فمع الوضوح الكبير للكلمات نقول مَن يمنح الإرض ثباتها؟ فوضعُها في منتصف الكون بحيثُ أنّها لا تميل ناحية جنب أكثر من الآخر، فمركزها في وسط كل مسافة من السطح، فبالضرورة يكون إذن إرتكازها على ذاتها. إذ أنّ الوزن المتساوي في كل أماكنه لا يُمكن أن يميل ناحية أيّ جنب. وكَون الأرض تحتل مركز الكون لم يتمّ بمحض الصدفة أو بدون هدف، فهو وضعها الضروري والطبيعيّ. فكما أن الجسم المضيء يحتل الغالبيّة العظمى من الفضاء، فإنّ الأجسام الثقيلة، والتي يعتقدون سقوطها من المجالات العليا، تحمل بكل الإتجاهات إلى المركز، والنقطة التي تميل إليها كل الأجزاء هي بالتّالي النقطة التي تدفع الكتلة كلّها لها. فلو سقطت الأحجار والأخشاب وكلّ الأجسام الأرضيّة من أعلى إلى أسفل، فلن تسقط إلاّ في مكان الأرض الطبيعي وعلى النقيض من ذلك، لو إنفصل جسمٌ خفيف من المركز، فمن الحتميّ صعوده إلى المجالات العليا. إذن تتحرّك الأجسام الثقيلة من أعلى إلى أسفل وذلك السفليّ ما هو إلا مركز الأرض. فلا تتعجّب إذن من أنّ الأرض لا تسقط أبداً، بل هي تحتلّ مركز الكون، (لا نعرف ما المقصود بمركز الكون في رأي القديس باسيليوس ربما يقصد مركز الكون من جهة إهتمام اللّه به) الذي هو مكانها الطبيعيّ فبكل الأحوال، يتحتّم عليها أن تبقى في مكانها حتى تأتي حركة مُخالفة للطبيعة فتحلّ محلّها. لو أبهرَك مثل ذلك النظام، دَع إعجابك يرجع إلى مصدره، فهو حكمة اللّه الخالق. فالظواهر لا تذهلنا إذا ما اكتشفنا شيئاً عن ميكانيكيّتها المُتقَنة. وفي كُل الأحوال دَعنا نُفَضِّل بساطة الإيمان على أعمال الفكر.

١١ – وقد نقول نفس الشيء على السموات، فيا للضجّة التي قامَ بها الحكماء في تفسيرهم لطبيعتها. فمنهم من قال أنّ السموات كُوّنَت من أربع عناصر (هذا بحسب المفاهيم العلميّة في أيام باسيليوس، وهو يتكلّم بناءاً على هذه المفاهيم ومن هذا المنطلق). المحسوس منها والظاهر.. أ) الأرض على أساس قوّة مقاومتها ب) والنّار لأنّها تتوهّج في رؤية العين لها. ج) والهواء د) والماء على أساس خليطها.

بينما رَفَضَ آخرون مثل هذا التفسير وأرجعوه لعدم واقعيّته، وأشاروا إلى عنصر خامس إلاّ وهو جسم أثيري (هيولي) لا يتكوّن من النار أو الهواء أو الأرض أو الماء ولا هو أي جسم بسيط، فهذه الأجسام البسيطة لها طبيعتها الحركيّة في خط واحد فيتحرّك الخفيف منها إلى الأعلى والثّقيل منها لأسفل، ومثل هذه الحركة العلويّة والسفليّة ليست حركة دائريّة، فهناك إختلافٌ كبير بين الحركة المستقيمة والأخرى الدائريّة ... فالأجسام التي تختلف حركتها كذلك، تختلف أيضاً في جوهرها ويستحيل أن نعتقد أنّ السموات تتكوّن من أجسام بسيطة والتي تُسمّى عناصر. إنّ إتحاد القوى المتناقضة لا ينتج عن حركة تلقائيّة، إذ أنّ كل من الأجسام البسيطة تتلقّى دافع مختلف من الطبيعة. فهو مجهود شاقّ أن تحتفظ بهذه الأجسام في حركة مستمرّة إذ أنّه يستحيل أن تجعل إحدى حركاتها في إتّفاق وانسجام مع الأخرى المختلفة عنها. إذ ما هو مناسب للجزىء الخفيف يعارض ما هو مناسب للثقيل. فلو حاولنا الصعود ستتوقّف لثقل المادّة الأرضيّة، ولو ألقينا بذواتنا إلى أسفل فنحنُ نعارض الجزء الناريّ لطبيعتنا، إذ تجذبه بشدّة لأسفل في عكس طبيعته. على أنّ هذا الصراع بين العناصر لا يؤثّر على إنحلالها، فإذا ما تعرّض الجسم للعنف ووُضعَ في إتجاه مُضاد لطبيعته، فهو يذوب بعد فترة مقاومة قصيرة إلى أجزاء تعتمد في كثرتها على محتوياتها من العناصر، وتعود تلك الأجزاء إلى مكانها الطبيعي. إنّها قوّة تلك الأسباب التي جعلت مخترعي العنصر الخامس الذي يكوّن السماوات والنجوم يرفضون ما جاء به سابقيهم ويعتقدون في نظريّتهم.

ويقوم مبحث آخر ليقضي على هذه النظريّة ويعرض فكرَة إختراع ... فيجب علينا ألاّ نتّبع هؤلاء في إدعاءاتهم، ودعهم يفنّدون بعضاً، وبدون أن نُقلق أنفسنا حول الجوهر دعنا نردّد مع موسَى «خلق اللّه السموات والأرض» . هلمَّ بنا نمجّد الصانع الخالق لكل ما صنع بحكمة ومهارة، هلمَّ بنا نرفع ذواتنا إليه الذي هو أعلى من كلِّ جمال إذ ننظر جمال الأشياء المرئيّة التي صنعها لنا، وعظمة الأجسام المحسوسة والمحدودة في طبيعتها لنُدرك ذلك غير المحدود الذي في إتّساعه الغير المحدود وقدرته يتجاوز كلّ قدرات الخيال.

فبالرغم من جَهلنا بطبيعة المخلوقات، فالأشياء التي تجذبَ إنتباهنا بكل نواحيها هي غايةٌ في الإتقان، والعقل الحاذق لا يَدرك أقلّ مظاهر الكون ولا يستطيع تفسيرها إذا ما لم يشكر الخالق، الذي له كل المجد والكرامة والقدرة إلى الأبد آمين.

طريق النساك تأمّل عن زكّا

إنك الآن مثل زكا قد تسلقت الشجرة لكي ترى الرب (لو ١٩).

إنك قد فعلت هذا ليس فقط بقوتك الذهنية، أو بطريقة تصوّفيّة عقلية، فأنت كائن بشري ولك جسد: ولذلك فإنك – مثل زكا – قد إستعملت قوة أطرافك، كما استخدمت الأشياء الأرضية لكي ترتفع من على الأرض، وإن كنت قد فعلت هذا بفهم وتقديرات هادئة، وبإدراك لوزن جسمك وإمكانياتك المحدودة، ولكن بدون خوف أو إرتباك أو نظرات جانبية، فإنك أيضًا كنت محظوظًا جدًا بأن ترفع نفسك إلى العلوّ الذي تستطيع فيه أن تختلس نظرة لذاك الذي كنت تبحث عنه ـ وذلك بالارتفاع فوق هدير جماهير عامة البشر، وأعنى بها نزواتك الأرضية.

وأنت تلاحظ أنك حينما إبتدأت أن تحصل على إدراك أوضح لحقيقة الظلام الذي فيك، فأنت لا تعود كما كنت مشدودًا بقوة للرغبة في التسليات ومُتَع الحياة الاجتماعية كما كانت قبلاً، وأنك قد حصلت على لمحة صغيرة عن حالتك الداخلية كما هي في حقيقتها. فربما أنت تفكر، أن قلبك كان لا يزال إلى الآن يشبه جوزة مَركب يهتز ويتذبذب بدون هدف وبدون قائد لدفتها، أما الآن فالمرحلة قد صار لها هدف ومعنى وهذا يحقق السعادة. وبالرغم من ذلك فأنت هو نفس جوزة المركب الصغيرة في وسط البحر الواسع، فإن كنت تبحر بطريقة صائبة فأنت سترى الآن بوضوح المرّة الأولى مقدار ضعف وضآلة المَـركـب.

إنَ كنا فقط نُظهر نيّتنا الصالحة، فإن الرب نفسه يكون دائمًا مرشدنا، هذا ما يقوله **رئيس الأساقفة ثيئوفيلاكتوس البلغاري**، يسوع يخبر زكا قائلاً: "أسرع وانزل (اتضع)، فإنه ينبغي أن أكون اليوم في بيتك" (لو ١٩: ٥). وبيتك هنا يمكن أن تُفهم بمعنى قلبك. حقيقة أنك قد تسلقت الشجرة وانتصرت على جزء من رغباتك الأرضية لأنك أردت أن تراني، أي: إنك أردت أن تكون لك القدرة أن تراني حينما أعبُر ذلك الطريق الذي في داخل قلبك. ولكن أسرع الآن بأن تذلل نفسك لئلا تجلس هناك ظانًا أنك أفضل من غيرك، فإنّ المكان الذي ينبغي أن أمكث فيه هو قلب المتضع. "فأسرع ونزل وقبله فرحًا" (لو ١٩: ٦). **زكا ـ رئيس العشارين ـ** قد قَبلَ المسيح الآن، وأول شيء فعله هو أنه أعطى كل ما كان يملك لأنَه أعطى نصف أمواله في الحال للمساكين والنصف الآخر لابدّ أنه بالتأكيد قد صُرفَ في رَدِّ أربعة أضعاف لكل من كان قد وشى بهم. "فهو أيضًا إبن إبراهيم" (لو ١٩: ٩): فإنه قد سمع صوت الرب وترك أرضه وبيته وبيت أبيه (تك ١٢: ١)، حيث تملك الأنانية والشهوات.

عرف زكا أن القلب الذي يقبل المسيح يجب أن يفرغ نفسه من كل شيء آخر: ينبغي أن يقدم كل ما حصل عليه من غنى بطرق غير شرعية، أي "شهوة الجسد، وشهوة العيون وتعظم المعيشة" (١ يو ٢: ١٦). لقد فهم أن الغني هنا هو فقير هناك، فإن تكون غنيًا ماديًا يساوى تمامًا أن تكون فقيرًا روحيًا، وكما يشرح **يوحنا ذهبي الفم**: فإن لم يكن الإنسان الغني فقيرًا جدًا، فإنه لن يصير غنيًا بالمرة.

وكما هو مستحيل أن تجمع بين الصحة والمرض هكذا فهو مستحيل أن تصالح بين المحبة والثراء: هكذا يقول **مار اسحق السرياني**، فالذي يحب إخوته البشر يُعطي لهم كل ما يملك بدون شروط: فهذه هي طبيعة المحبة ـ ولكن بدون المحبة فليس هناك إمكانية لدخول ملكوت اللّه. وهذا ما اكتشفه زكا أيضًا.

وأيضًا كلما امتلكت أقل، كانت طريقة حياتك أكثر بساطة، فكل زيادة وإكثار قد أُلقي بعيدًا، والقلب يجمع نفسه ويحصر أفكاره معًا في عمقه الداخلي. وشيئًا فشيئًا يحاول القلب أن يدخل إلى داخل الجوهر، حيث توجد هناك درجات السلم المؤدي إلى السماء.

حينئذ، فالصلاة أيضًا تصير أكثر بساطة وسهولة. والصلوات تتجمع حوَل المركز وتدخل فيه. وهناك في الأعماق نرى الصلاة الوحيدة التي نحن في احتياج إليها: أي الصلاة لأجل الرحمة. لأن ما الذي يمكن أن يشتهيه الخاطئ، بل وأول الخطاة (١ تى ١: ١٥) غير أن ينال الرحمة من الرب؟ فهل عند الخاطئ أي شيء يمكن أن يعطيه؟ وهل عنده قوة من ذاته، وإرادة من ذاته، أو أي رباطة جأش من ذاته؟ هل يستطيع أن يقوم بأي شيء بنفسه؟ هل هو يعرف أي شيء؟ هل هو يستطيع أن يقول عن أي شيء يفهمه أو يدركه، إنه ملكه، وهو الذي لا يملك شيئًا.

هو لا يملك شيئًا: فالخطيئة هي العَدَم، أي ما ليس له وجود. **الخطيئة هي فراغ، هي ظلام، هي رفض. وهناك يستقر الخاطىء، في ذلك العدم.**

وهكذا يرى نفسه، وكلما امتلك أقل، كلما صار أكثر غنى: لأن الحجرة المفرغة في داخله تُملأ لا بأشياء فانية، بل بملء الحياة الأبدية، وبنورها بإيجابيتها ـ أي بالحب والرحمة. إن الرب نفسه هو الذي يسكن كضيف في بيت الخاطئ.

ولكن كيف يستطيع هذا الخاطئ، أن يكون أهلاً لحضور الرب، كيف يمكنه حتى أن يتخيل أن الرب سينظر إليه في ظلامه؟ ومع ذلك فهو يحاول أن يطهّر نفسه، وهو يصارع ويعمل، بل هو يتبع وصايا الإنجيل يسهر ويصوم، ويحاول بكل الطرق أن يُنكر ذاته لأجل خاطر الرب، بل هو يرى نفسه **ساقطًا في سرعة الغضب، والميل للشجار، وعدم المحبة، والكسل وعدم الصبر، وعدم الشكر وكل ما يمكن تصوره من رذائل، فكيف يمكن أن يتوقع أن يأتي الرب إلى مثل هذه الغرفة؟**

لذلك فهو يصلي هكذا: يا رب ارحم. ارحمني أنا الخاطئ. لأني قد حاولت ـ **بالحق** ـ أن أفعل "ما كان يجب عليّ أن أفعله" لكي أخدمك: لقد "**حرثت**" حقل قلبي الذي أعطيتني أن أفلحه، وقد "رعيت البقر" هناك (لو ١٧: ٧–١٠)، ولكني لستُ فقط إلاّ عبدك المتواضع، وبدونك لا أستطيع أن أفعل شيئًا.

وعن طريق العمل يزداد إيمانه (لو ١٧: ٥)، وبواسطة الصلاة يأخذ قوة للعمل. وهكذا فإنّ الصلاة والعمل يكونان متلازمين معًا إلى أن يتدفقا معًا ويصيران واحدًا. فيصبح عمله هو صلاته، وصلاته هي عمله. هذا هو ما يسميه القديسون بالنشاط الروحاني: **صلاة القلب، أي صلاة يسوع.**

تتمة من العدد السابق

حياة الآباء وخواص تلك الفترة

الأسرائيليّون والعبوديّة في مصر:

كما سجَّل مرنبتاح (١٢٢٤-١٢١٤ق.م.) خليفة رمسيس الثاني إنتصاراته على فلسطين وذكر فيها أسماء ومُدن مثل أشقلون وجازر ، وذلك على النَصب الذي اكتشفه بتري في طيبة ومُسَطّر عليه أقدم إسم لإسرائيل حيثُ كان الإسرائيليّون موجودين في غرب الأرض أثناء حملته وجاء في هذا الأثر ما يلي: "إغتصبنا كنعان .. إكتسحنا أشقلون .. إستولينا على جازر . دُمِّرت إسرائيل وأصبحت أرملة لمصرَ .." وعلى ذلك يكون دخل **يشوع** كنعان نحو سنة ١٢٢٠ قَ.م. ، ويكون خروج بني إسرائيل قد حدث في بداية حُكم مرنبتاح إبن رمسيس الثاني، وتكون الأميرة التي إنتشلت موسى من الماء هي (إيست نفرت) زوجة رمسيس الثاني وأمّ مرنبتاح. ولكن في سنة ١٨٨١م حدثت مفاجأة. إذ إكتُشفَت مومياء مرنبتاح في مقبرة بالدير البحري على الشاطىء الغربي للنيل في طيبة وهذا قد يتعارَض مع غرق فرعون في البحر حسب رواية سفر الخروج ، ولكنّ المُرجّح أنّه أُخرجَ بسرعة من البحر وتمّت عمليات التحنيط المعتادة بعد غسل الجثّة جيّداً من أي آثار للملح.

٣ـ كان حُكم رمسيس الثاني طويلاً حيثُ امتدّ به العمر وهو ما تظهره مميّاؤه ، فبعد أن أنهى أعماله الحربيّة الناجحة كرّس بقيّة

معبد أبو سنبل المطل على السد العالي

حياته في مشاريع البناء تخليداً لحكمه ، ومن أعظمها معبد أبو سمبل الذي حُفرَ في الجبل والمُطل حالياً على بحيرة السدّ العالي بعد نقله من مكانه الأصلي ، وفي مَدخله أربعة تماثيل لرمسيس الثاني إرتفاع كل منها ٢٠ متراً، وشُيِّدَ معبد طيبة على النيل في الأقصر ، وكان عصره زاهراً بالمشاريع التي سَخَّرَ فيها الأجراء والعبيد الأسيويين وخاصّة العبرانيين.

رعمسيس الثاني وزوجته إيست نفرت

٤ـ ذكرت التوراة أن بني إسرائيل بنوا مُدُناً (مخازن) وهما **فيثوم ورعمسيس** ، وأضافت النسخة السبعينيّة مدينة أون (عين شمس) مركز عبادة **الإله رَع**. ومدينتا **فيثوم ورعمسيس** تقعان شرق الدلتا بالقرب من أرض جاسان حيث كان يُقيم العبرانيّون ، فقد كان رمسيس الثاني حريصاً على سلامة البلاد بتأمين الحدود الشماليّة الشرقيّة والتي كانت منفذاً لدخول الأسيويين.

وكانت رعمسيس تُسمّى بيت الرعامسة وهي **صوعن** (صا الحجر)(عد١٣:٢٢) ، وهي التي أسماها اليونانيّون **تانيس** ، وقد اكتُشفَ قصرٌ فيها لرمسيس الثاني، أما فيثوم (تل المسخوطة) وأسماها اليونانيون **هيروبوليس** فقد اكتُشفَت نقوش لرمسيس الثاني يقول فيها : "**أنا بنيت فيثوم**" .

وقد اكتشف في وادي طوميلات (تل الرتابة) أن رمسيس الثاني هو الذي بنى مدينتيّ **فيثوم ورعمسيس** ومن ذلك يتضح أنه تسخيرَ العبرانيين (خروج١:١١). ويكون هو صاحب قرار الإضطهاد وأمر بعمل الطوب بدون تبن وربما كان صاحب قرار قتل الأطفال (أو سلفه سيتي الأوّل) ؛ ويقترن **بفيثوم** أبنية ضخمة كمخازن بُنيَت من اللّبن (الطوب المصنوع من الطين)، واكتُشفَت لُبْنـات عليها إسم رمسيس الثاني بعضها مصنوع بدون تبن والبعض مخلوطٌ بالتبن وهو يعكس ما جاء في سفر الخروج (خر٥:١٠-١٢). ومدينتا **فيثوم ورعمسيس** اللتان اكتشفتا وكلٌّ منهما ذات غُرف سميكة الجدران وقد بُنيتا بالطوب المجفّف بالشمس.

٥ـ في برديات ترجع لعصر رمسيس الثاني قصَص عن العيبرو الذين يجرّون الحجارة الضخمة لبوابة معبد الملك رمسيس الثاني ، وعن آخرين يصنعون ما قُرِّر عليهم صناعته من الطوب ، وعن موظّفين لم يكن تحت إمرتهم عمال أو تبن لصناعة الطوب (خر٥:٧) ، وفي طيبة على الضفة الغربيّة للنيل اكتشفت في قرية العُمّال الذين كانوا يُقَطّعون الأحجار مُدَوّنـات على شقفات من كسر الفخار كمذكّرات مكتوبٌ فيها أيام العمل والعطلة ، وأسباب تغيّب العمال ومنها مرض الزوجة ، وصناعة الخمور مع الرئيس أو بسبب لدغ عقرب ، أو تقديم قرابين للآلهة ، ومن بين هذه التسجيلات المتعة طلب إجازة جماعيّة لحضور حفل ديني وهو يشبه ما جاء في حديث موسى مع فرعون حيثُ طلب موسى وهرون أجازة للعبرانيين للعبادة (خر٥:٣).

يتبع

تقلب الأيام

عواقب مكروهِ الأيّام خيارُ   وأيّـامُ شَـرٍّ لا تَدومُ قصـارُ
ولَيْسَ بباقٍ بُؤسُها ونَعيمُها   إذا كَـرَّ ليـلٌ ثُمَّ كَـرَّ نَهارُ

الفريسي والعشّار

عندما انغلب الفريسيّ من المجد الفارغ والعشّار إنحنى بالتوبة ،
أقبلا إليك أيّها السيّد الواحد.
إلاّ أن الواحد لمّا افتخر عَدَم الخيرات
والآخر من غير أن ينطق إستحق المواهب.
فبهذه التنهيدات ثبّتني أيها المسيح الإله بما أنك محبٌ للبشر